مجلة كلية الآداب

مجلة دورية علمية محكمة

نصف ســنوية

العدد السابع والأربعون
أبريل ٢٠١٧

مجلة كلية الآداب.. مج ١، ع ١ (أكتوبر ١٩٩١م) .
بنها : كلية الآداب . جامعة بنها، ١٩٩١م
مج؛ ٢٤ سم.
مرتان سنويا (١٩٩١) وأربعة مرات سنويا (أكتوبر ٢٠١١) ومرتان سنويا (٢٠١٧)

١ . العلوم الاجتماعية . دوريات . ٢. العلوم الإنسانية . دوريات.

مجلة كلية الآداب جامعة بنها

مجلة دورية محكمة

العدد السابع والأربعون

الشهر : أبريل ٢٠١٧

عميد الكلية ورئيس التحرير : أ.د/ عبير فتح الله الرباط

نائب رئيس التحرير : أ.د/ عربى عبدالعزيز الطوخى

الإشراف العام : أ.د/ عبدالقادر البحراوى

المدير التنفيذى : د/ أيمن القرنفيلى

مديرا التحرير : د/ عادل نبيل الشحات

: د/ محسن عابد محمد السعدنى

سكرتير التحرير : أ/ إسماعيل عبد اللاه

رقم الإيداع ٦٣٦١ : ٦٣٦٣ لسنة ١٩٩١

ISSN: 1687-2525

المجلة مكشفة من خلال اتحاد المكتبات الجامعية المصرية

ومكشفة ومتاحة على قواعد بيانات دار المنظومة على الرابط:

http://www.mandumah.com

ومكشفة ومتاحة على بنك المعرفة على الرابط:

http://jfab.journals.ekb.eg

هيئة تحرير المجلة

أ.د/عبير فتح الله الرباط	عميد الكلية ورئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير
أ.د/عربى عبدالعزيز الطوخى	نائب رئيس التحرير
أ.د/عبدالقادر البحراوى	الإشراف العام
د/أيمن القرنفيلى	المدير التنفيذى
د/عادل نبيل	مدير تحرير المجلة
د/محسن عابد السعدنى	مدير تحرير المجلة
أ/إسماعيل عبد اللاه	سكرتير التحرير

النساء في عهد الخليفة المقتدر باللّه العباسي

(شغب انموذجاً)

(٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)

د/ تيسير محمد محمد شادي

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب -جامعة دمنهور

النساء في عهد الخليفة المقتدر بالله العباسي
"شغب انموذجًا"
(٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)

مقدمة:

تعود **أهمية هذا البحث** إلي إلقاء الضوء علي شخصية مهمة من الشخصيات التي أثرت تأثيرًا كبيرًا في مجريات الأحداث التاريخية في بغداد حاضرة الخلافة الإسلامية أثناء فترة حكم الخليفة العباسي المقتدر بالله التي قدرت بما يقرب من ربع قرن (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)، حكم فيها المقتدر بالله بعد وفاة أخيه المكتفي بالله(**٢٨٩-٢٩٥هـ/٩٠٢-٩٠٨م**)، وكان المقتدر بالله آن ذاك طفل صغير؛ فظهرت أمه الجارية الرومية "شَغَب" وتولت زمام الأمور في بغداد مدة خلافة ابنها المقتدر بالله، واستعانت بمجموعة من الجواري تحكمن في أمور الدولة ومقاليدها حتي عرفت تلك الفترة بعصر النساء.

وتحاول الدراسة جاهدة من خلال اتباع المنهج التاريخي أن تقف بموضوعية وحياد علي الروايات والسرد التاريخي بقصد الوصول إلي الحقائق التاريخية متسقة مجردة من الهوي، محاولة توضيح دور النساء اللاتي بدأن جواري ثم تدرجن حتي وصلن إلي سدة الحكم والإدارة، وكان لهن أدوار حقيقية في صنع الأحداث وتحريك السياسات أمثال: أم موسى الهاشميّة كهرمانة ام المقتدر وكبيرة وصيفاتها التي كانت حلقة الوصل بين كلا من المقتدر بالله وأمه والوزير، و" فرج " النصرانية التي كانت تحمل خاتم الخليفة وتقوم بالتوقيع به بدلًا عن الخليفة، والجارية " زيدان" التي كانت تتولي مسؤولية السجن الخاص بالوزراء، وغيرهن من الجواري الائي بررزن خلال تلك الفترة وعلي رأسهن "شغب" أم الخليفة المقتدر بالله التي كانت سببًا في ظهور تلك النساء.

وقد انقسم البحث إلي **عدة محاور** منها، بداية ظهور الجارية "شغب" ووصولها إلي مكانة أم الولد بعد ولادة المقتدر بالله ، و إبراز الدور السياسي والحضاري لهذه السيدة خلال فترة حكم ابنها، ثم انتهاء عهدها وتقييم فترة حكمها، ويُختم البحث بخاتمة تتضمن أهم نتائجه ثم قائمة تشمل مصادره ومراجعه.

أولًا: ظهور الجارية "شغب" وتدرجها داخل البلاط الخلافي:

بدأت السيدة شغب حياتها مثل كثيرات غيرها من نساء تلك الفترة، فحياتها تبدأ من سوق النخاسة؛ حيث كانت في أول أمرها جارية رومية[١] لإحدى النساء الكبيرات ببغداد تدعي أم القاسم بنت محمد بن عبد الله[٢]، ثم تملكها الخليفة العباسي أحمد المعتضد بالله (٢٧٩-٢٨٩هـ/٨٩٢-٩٠٢م)[٣] إذ أعجب بها؛ لأنها اختلفت

(١) المسعودي (أبو الحسن على بن الحسين)، ت(٣٤٥هـ): التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوى، مكتبة الشرق الإسلامية ومطبعتها، القاهرة، ١٩٣٨م، ص٣٢٦؛ الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد)، ت(٧٤٨هـ/١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء، ج٢٢، تحقيق: بشار عواد ومحى هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ص٢٠؛ العمراني (محمد بن على بن محمد)، ت(٥٨٠هـ): الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٢م، ص١٣٥.

(٢) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، ت(٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ، ص٤٢؛ ابن الأثير (أبو الحسن على بن محمد)، ت(٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، ج٦، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٤٨٧.

(٣) هو أبو العباس أحمد المعتضد بن الموفّق بن المتوكل، بويع بالخلافة بعد عمّه المعتمد على الله في سنة (٢٧٩هـ/٨٩٢م) وأمه أم ولد يقال لها نحلة، وضرار، كان رجلا قويًا مهابًا، شديد الوطأة قليل الرحمة، إذا غضب علي أمير دفنه حيًا، حتى هابوه هيبة عظيمة، وسكنت فتنة الأتراك، فلم يجرؤ واحد منهم على إحداث شغب، سار على نهج أبيه الموفق في الحزم والعزم، كما سلك مسلكه في حسن السياسة والعدل، في عهده استقرت البلاد داخليًا وخارجيًا، وهدأت الفتن، وعاد للخلافة هيبتها، فسمي بالسفاح الثاني. (للمزيد راجع: ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن)،

عن باقي الجواري اللائي اعتاد عليهن في قصره واللاتي عرفن بالبياض والسمنة، فكانت شغب تتميز بلونها الذهبي وجسدها النحيف، فكانت مميزة عن قريناتها من الجواري آنذاك، وكانت في أول أمرها تدعي بـ "**ناعم**"، فاشتراها المعتضد بمبلغ أربعمائة ألف درهم[١].

وانتقلت ناعم إلى قصر الخليفة، وكانت من المقربات إلي قلبه، وبعد فترة قضاها معها حملت منه، فانشغل عنها بغيرها من الجواري الحسناوات اللاتي عج بهن قصره،[٢] وقد أتمت السيدة ناعم حملها ووضعت في عام (٢٨٣هـ/٨٩٦م) ولدًا للخليفة، أسماه جعفرًا، فأخذت أمه كنية "**أم جعفر**" وجعفر هذا هو الخليفة الذي لقب

ت(٥٧١هـ): تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ج٧١، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م، ص١٩٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء؛ ج١٠، ص٤٨؛ ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن)، ت(٨٧٤هـ): مورد اللطافة في من ولى السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م، ج١، ص١٧٥.)

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٤٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٨٧؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، تحقيق: كمال حسن مرعى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م، ص٢٢٥.

(٢) كان الخليفة المعتضد محبًا للنساء مغرمًا بهن، حتي قيل إنه كان متقلب المزاج، بسبب كثرة ممارسته للجماع، وقيل أنه توفي بسبب إفراطه في الجماع وعدم الحمية. (للمزيد راجع: الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ج٦، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٦٧٦؛ ابن شاكر (محمد بن شاكر الكتبي)، ت(٧٦٤هـ): فوات الوفيات، ج١، تحقيق: إحسان عباس دار صادر، بيروت، د.ت، ص٧٣؛ الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، ت(٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، ج٦، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركى مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٠٠٠م، ص٢٦٤).

بعد ذلك بالمقتدر بالله العباسي(٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)[١].

لم تطق " ناعم" أم جعفر أن يهجرها سيدها الخليفة المعتضد بالله؛ فدبت الغيرة في نفسها، وأخذت تثير المشاكل داخل القصر العباسي وحقدت علي غيرها من النساء القريبات من الخليفة، فغضب منها وعاقبها وأطلق عليها لقب" **شغب**"[٢] فلصق بها وعرفت به، وكانت لا تنادي إلا به، كما ألزمها بأن تعكف على رعاية ابنها الرضيع جعفر، وخصص لها بيتاً في القصر كان لها سجناً إجباريًّا[٣].

ولم يكن لشغب أنيس في وحدتها سوي جاريتها وصديقتها "ثمل" التي اشترتها بنفسها من سوق النخاسة ببغداد بخمسة آلاف درهم، وكانت ثمل رومية الأصل أيضًا[٤]، وربما كان ذلك سبب ميل شغب لها، إذ حظيت بمكانة عند سيدتها وصارت

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٤٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٨٧؛ المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، ص٢٢٥.

(٢) الشغب في اللغة العربية يعني كثرة الشر وانعدام وجود الخير، ولعل هذا التعريف يجعل ما ذهب إليه آدم متز من إرجاع السبب في إطلاق هذا اللقب عليها إلي كثرة صخب ابنها غير صحيح، إذ لا علاقة له بالصبي الصغير، والا لكان الأقرب هو اطلاق اللفظ علي الطفل نفسه. (للمزيد راجع: الرازي (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، ت(٦٦٦هـ): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م، مادة: ش.غ. ب؛ آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ص٣٥).

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص٤٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٤٨٧؛ ابن منظور (محمد بن مكرم)، ت(٧١١هـ): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٣، تحقيق، رياض عبد الحميد مراد، مراجعة: روحية النحاس، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م، ص١١٦؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١١، ص٧٤.

(٤) سولاف فيض الله حسن: دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، ١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م، دار عدنان، بغداد، ٢٠١٣م، ص١٢٠.

من أهل الثقة لديها، وأغدقت سيدتها عليها الهبات والعطايا، ومن ثم كان ولاء ثمل لسيدتها، وتخبرها بأحوال القصر أولًا بأول، ومن خلالها علمت بانشغال الخليفة المعتضد بجاريته الحسناء "قبول" وأنه ولع بها وأطلق عليها اسم" فتنة" التي ولدت للخليفة ولدًا آخر جميل المنظر اسماه "محمدًا" وكان ذلك في سنة (٢٨٧هـ/ ٩٠٠م)، وهو الذي تولي الخلافة باسم القاهر بالله،(١) وفرح به المعتضد فرحًا شديدًا، فازدادت شغب حقدا وغيظًا ولا سيما بعد معرفتها بأن الخليفة لم يهجر "فتنة" مثلما فعل معها من قبل، بل زاد حبه لها بولادتها لابنه محمد(٢).

ولم تهدأ شغب ولم تستقر نفسها، وظلت في غضب مستمر، وانتقل هذا الغضب إلى الخليفة المعتضد نفسه بعدما سئم من تصرفاتها وكثرة أفتعالها للمشاكل، ثم غضب علي ابنها جعفر مثلما غضب عليها من قبل، وكان ذلك عندما رآه جالسًا مع أقرانه من الخدم يوزع عليهم العنب الذي يأكل منه بالتساوي، في وقت عز فيه العنب، فثار المعتضد ثورة عارمة، وهم أن يقتل الطفل الصغير، حيث عد ما فعله المقتدر نذير شؤم علي الخلافة وضياع لهيبتها، ولولا خوفه من النار والعار لقتله؛ لأن كما في قتله صلاحًا للأمة وذلك علي حد قوله،(٣) غير أنه قد صفح عنه، أمام توسلات " شغب" ودموعها، وعادت شغب وابنها إلى القصر الذي خصص لها بأمر من الخليفة، وبالرغم من صفح المعتضد، إلا تنسي شغب حبه لقبول أم القاهر وإهماله

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص١٥٤؛ العمراني: الإنباء، ص١٦١.

(٢) سولاف فيض الله حسن: دور الجواري والقهرمانات، ص١٢٠.

(٣) ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن على)، ت(٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٣، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ص٦٦.

لها، وكذلك موقفه من ابنها[١].

وظل المعتضد حزينًا لهذا الفعل حتي سأله صافي الخادم(مولي المعتضد) عن سبب كل هذا الحزن، فقال له غاضبًا: "أنا رجل قد سست الأمور وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد، ولا بد من موتي، وأعلم أن الناس بعدي لا يختارون غير ولدي وسيجلسون ابني عليا– يعني المكتفي– وما أظن عمره يطول، للعلة التي به، ولا يرى الناس بعده أكبر من جعفر– المقتدر– فيجلسونه وهو صبي، وله من الطبع في السخاء هذا الذي رأيت، فيقسم ما جمعته من الأموال، كما قسم العنب، وتؤثر عليه النساء لقرب عهده بهن، فتضيع الثغور وتنتشر الأمور وتخرج الخوارج، وتحدث الأسباب التي يكون فيها زوال الملك"[٢]. هذه كانت رؤية المعتضد من موقف شاهد ابنه يفعله، ولعل الأحداث التاريخية القادمة توضح مدي صحة ما توقعه المعتضد، وتعكس مهارته في قراءة الأحداث وحسن التنبؤ للمستقبل.

وعلي أية حال فقد انتشرت في القصر شائعة بأن المعتضد سيقتل ابنه جعفرًا ابن الجارية شغب، وأمام تلك الشائعة شعرت " شغب " أن ابنها في خطر، ولا سيما مع وجود فتنة وابنها الجديد، ووسط هذا الجو قتلت السيدة "فتنة" دون معرفة السبب، وتركت المولود الجديد، فعهد به المعتضد إلي شغب؛ لكي ترعاه مع ابنها المقتدر، وعاش محمد ابن فتنة مع شغب التي لم تنس وجه أمه الفاتنة وعشق المعتضد لها، ولم تنس أن معاملتها قد ساءت، وأنها قد أهملت؛ بسبب وجود هذه المرأة في حياة

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص٦٥–٦٦؛ ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير)، ت(٧٧٤هـ): البداية والنهاية، ج١١، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة، ١٩٩٨م، ص١٠٠؛ العصامى (عبدالملك بن حسين بن عبدالملك)، ت(١١١١هـ): سمط النجوم العوالي في أخبار الأوائل والتوالي، ج٣، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٤٨٣.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص٦٥–٦٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٠٠–١٠١.

الخليفة.[١] ولم يكن الخليفة المعتضد موفقًا في قرار إسناد تربية ابنه إلى شغب التي كان يعلم ما بداخلها من غيرة وحقد تجاه هذا المولود وأمه وما بطبعها من ميل ولإثارة المشاكل.

وظلت شغب علي هذه الحالة من الحقد، ولاسيما في ظل إهمال الخليفة لها وانشغاله الدائم بجواريه، رغم موت "فتنة"، فقد علمت شغب من خلال جاريتها ثمل وما يتردد داخل جنبات القصر بغرام المعتضد بجارية جديدة تدعي "**دريرة**" التي استأثرت بقلبه [٢]، حتي إنه قد بني لها بحيرة صغيرة – حمام سباحة– داخل القصر، وكان يخلو بها وبجواريه عند تلك البحيرة، ويدق لها بالطبل وهي تغني، كما علمت أنه أقطعها إقطاعًا خاصًا بها أشهد عليه الشهود[٣]، وهو ما أثار غضب شغب، فأخذت تكيد لدريرة بالتعاون مع "ثمل"، فعملت علي توصيل ما يحدث من الخليفة مع جاريته داخل القصر إلي الشاعر ابن بسام الذي عرف بجرأته وسلاطة لسانه[٤]، فأنشد هذه الأبيات:

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص٦٦.

(٢) السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر)، ت(٩١١هـ):: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٢٧٠؛ إحسان عباس: شذرات من كتب مفقودة، ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٨م، ص٤٢٣.

(٣) أبو الحسن الصابي (الهلال بن المحسن الصابى)، ت(٤٤٨هـ): تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ج١، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، د.ت، ص٢٠٢.

(٤) هو أبو الحسن علي بن محمد بن منصور بن نصر بن بسام البغدادي، من أهل بغداد، ذاعت شهرته عند أهل الأدب والأخبار، عرف بكثرة هجائه، وقد قيل: إن له هجاء خبيثًا لاذعًا في أبيه وفي بعض الوزراء والخلفاء ومن بينهم المعتضد العباسي، توفي ابن بسام في سنة (٣٠٢هـ/٩١٤م). (للمزيد راجع: البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي)، ت(٤٦٣هـ): تاريخ بغداد، ج١٣، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م، ص٥٢٩؛ ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، ت(٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٣٦٥؛ ابن شاكر: فوات الوفيات، ج٣، ص٩٢).

تركَ الناسَ بحيره ... وتخلى في البُحيره
قاعدًا يضربُ بالطبلِ ... على حر دريره

وبلغت الأبيات المعتضدَ، فلم يظهر أنّه سمعها، غير أنه خشي من تأثيرها علي العامة، فأمر بتخريب تلك البحيرة،(١) وفي ظروف غامضة مشابهة توفيت دريرة، فحزن عليها المعتضد حزنًا شيدًا، حتي إنه رثاها،(٢) وبالطريقة نفسها توفيت جيجك زوجة الخليفة التركية وأم أكبر أبنائه وولي عهده المكتفي(٢٨٩-٢٩٥هـ/ ٩٠٢-٩٠٨م) التي وصفت بحسنها وجمالها حتي كانت مضرب الأمثال في الحسن(٣).

وعندما انتبه الخليفة المعتضد لظاهرة موت نسائه السريع، أخذ يبحث في الأمر، وكانت الدلائل تشير إلى تورط شغب في تلك الجرائم، فعاقبها المعتضد، وكان على وشك الانتقام منها، ولكنه رجع عن ذلك، ربما لأن الأدلة لم تكن حاسمة أو حرصًا على مشاعر ابنه جعفر أو لأنها ترعى ولدين له، وهما جعفر ومحمد، فعدل عن هذا الأمر واكتفي بعزلها كما كانت في قصر تربي فيه أبناءه(٤).

ويفهم مما سبق أن السيدة شغب حاولت بكل الطرق أن تزيح أي سيدة تحول بينها وبين الخليفة، وانها اعتمدت علي المؤامرات والدسائس لتحقيق هدفها بل أرادت

(١) أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص٢٠٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٣، ٩٣-٩٤؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج١، ص٢٧٠-٢٧١؛ إحسان عباس: شذرات من كتب مفقودة، ج٢، ص٤٢٣.

(٢) فقال فيها: يا حبيبًا لم يكن يعدله عندي حبيب أنت عن عيني بعيد ومن القلب قريب
ليس لي بعدك في شيء من اللهو نصيب لك من قلبي على قلبي وإن بنت رقيب
(للمزيد راجع: أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص ٢٠٢؛ السيوطي تاريخ الخلفاء، ج١، ص٢٧٠؛ إحسان عباس: شذرات من كتب مفقودة، ج٢، ص٤٢٣.)

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٣٢؛ السيوطي تاريخ الخلفاء، ج١، ص٢٧٣.

(٤) ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، ج٣، ص١١٦؛الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١١، ص٧٤.

أن تعلو بشأن ابنها ومكانته وكذلك مكانتها، حتي تجد لنفسها حظًا داخل البلاط الخلافي ببغداد بعد أن فقدت مكانتها ومكانة ابنها في قلب الخليفة.

وقد زادت هذه الحالة التي كانت تعيشها من شعورها بالحقد والظلم والفقر، تلك الحالة الناتجة عن الإهمال والتجاهل، بالإضافة إلي الغيرة القاتلة التي تجعل صاحبتها دائمًا في حالة تهديد وعدم استقرار وخوف من المستقبل، وهو ما ينمي داخل المرأة نزعة من نزعات الانتقام الذي يشكل لديها نوعًا من أنواع الوسائل الدفاعية(١).

وهكذا كان الأمر، تجد شغب في الكيد أو التخلص من كل جارية جميلة يتعلق بها الخليفة انتصارًا لها ولأنوثتها المهملة وانتقامًا من الخليفة نفسه، سواءًا كانت شغب سببًا مباشرًا أم غير مباشر في ذلك، فاستخدمت طريقة الهجوم؛ للدفاع عن كيانها، حيث أسهمت في القضاء علي كل ما يتعلق بنهم الخليفة للنساء، معتنقة مبدأ إن لم يكن لي فلا يكون لغيري، وهنا فقدت الاتزان والثبات الانفعالي.

ولم يستمر الأمر طويلًا، فقد توفي المعتضد بالله عنها في سنة (٢٨٩هـ/٩٠٢م) – وهو العام نفسه الذي توفيت فيه محبوبته دريرة – وتولي أمر الخلافة بعده ابنه المكتفي بالله الذي سار على نهج أبيه المعتضد بالله في الشدة والحزم، فأقر سلطان الخلافة في بغداد وخارجها بعد أن قضي علي جميع الثورات والفتن، وكانت أحوال الخلافة في عهده تسير كما كانت في عهد أبيه(٢).

واستطاع المكتفي أن يقر الأمن والسلام ويحدث نوعًا من الاستقرار للأمور الداخلية، ويئد الفتن الداخلية التي راجت داخل قصر الخلافة، ثم أمر بخدم أبيه

(١) مصطفي حجازي: التخلف الاجتماعي مدخل إلي سيكلوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٩، ٢٠٠٥م، ص٢٠٢، ٢٢٣.

(٢) أحمد مختار العبادي: إبراهيم محمد علي مرجونة، تاريخ الدولة العباسية، دمنهور، ٢٠٠٨م، ص٢٢٩.

وغلمانه وجواريه وزوجاته، وعلي رأس هؤلاء شغب وابنها ونقلهم إلي دار محمد بن طاهر في أقصي الغرب من بغداد، فأصبحت شغب وابنها وجاريتها ثمل في سجن آخر، حيث كانت تلك الدار(القصر) معقلاً سياسيًا لكبار القادة وللأمراء العباسيين الذين تغضب عليهم الخلافة، كما كانت مكانًا لدفن موتي البيت العباسي، وفيها دفن الخليفة المعتضد [١].

وفي دار ابن طاهر شعرت شغب بخطورة موقفها، لا سيما بعد وفاة الخليفة المعتضد وصغر سن ابنها، هذا الطفل الذي كان لها بمنزلة التعويض الإلهي عن إهمال الخليفة لها، فتعلقت به تعلقًا شديدًا، وسيطرت عليه حتي تعدي تعلقها به الشعور الطبيعي لعاطفة الأمومة، فوصلت علاقتها بابنها إلي درجة التملك، وهو ما جعل من الطفل ضحية وثمنًا لتعويض أمه عن الغبن والظلم الذي لحق بها، وفي كل الأحوال يصعب علي الطفل الاستقلال عن أمه نفسيًا ويظل مرتبطًا بها، أو بأي امرأة تؤدي هذا الدور في حياته، سواءًا كانت أمه أم غيرها.[٢].

وعلي أية حال ظلت شغب في هذا السجن ما يقرب من ست سنوات، تدبر وتخطط لانتقال الأمر لابنها، حتي توفي الخليفة المكتفي فجأة وهو في الثانية والثلاثين من عمره في سنة (٢٩٥هـ/٩٠٨م)، وذلك في اليوم نفسه الذي أشاعت فيه شغب ومعاونوها من الأتراك أن ابنها جعفر قد بلغ حلمه[٣].

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٦، ٥٢٣؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٥٩١؛ ابن الوردي (زين الدين عمر بن مظفر)، ت(٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م، ص٢٣٧.

(٢) مصطفي حجازي: التخلف الاجتماعي، ص٢٢٤.

(٣) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص٦٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٢، ص٢٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١١٨.

وقد أورد الدكتور العبادي أن الثناء والمدح يجب أن يكون للخليفة المكتفي مؤكدًا أنه آخر الخلفاء العباسيين الأقوياء الذين حافظوا علي هيبة الدولة العباسية وكبحوا جماح الأتراك وجعلوا منهم خدمًا للدولة مثله في ذلك مثل الموفق وابنه المعتضد(٢٥٦-٢٧٩هـ/٨٧٠-٨٩٢م)، ومن قبلهم المعتصم والواثق، وبموته عادت الخلافة إلى ضعفها، وعاد الأتراك إلى قوتهم(١).

و قد رأي القادة والوزراء من الأتراك الطامعون في الاستئثار بالسلطة أن الأمر يستقيم لهم مع خلفاء أقوياء، فعملوا على اختيار خليفة من الأمراء الضعاف من البيت العباسي، لتعود إلى أيديهم السلطة وتحصل لهم الرياسة، ولذلك طال اجتماعهم وتفكيرهم قبيل وفاة المكتفي، وكان عبد الله بن المعتز ابن أخي الخليفة المعتضد من أول المرشحين للخلافة، وكان عبد الله بالغًا رشيدًا عادلًا، إلا أن الأتراك قد خشوه، ولذا انصرفوا عنه إلى جعفر ابن الجارية شغب، وهو مازال طفلًا عاجزًا لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره لا يعرف من أمور الدنيا شيئًا، فولوهُ الخلافة ولقبوه "المقتدر بالله"(٢).

وهنا التقت مصالح الأتراك؛ للسيطرة والهيمنة والمحافظة علي زيادة الشأن والنفوذ، مع رغبة أم المقتدر بالله السيدة شغب، في التخلص من الإقامة الجبرية والسجن والظلم والقهر، فتعاون الجميع لتحقيق مصالحهم المشتركة، ولعل لقب المقتدر وان كان يشير في مضمونه إلي القدرة، فقد كانت قدرة زائفة، أراد بها الأتراك إخفاء حقيقة الأمر الذي تمثل في سلب تلك القدرة من الخليفة الجديد، وانتقالها إليهم، وهو ما سيتضح من خلال الدراسة.

(١) أحمد مختار العبادي: إبراهيم محمد علي مرجونة، تاريخ الدولة العباسية، ص٢٢٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، ص١٣٩؛ مسكويه(أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب)، ت(٤٢١هـ): تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٥، تحقيق: أبو القاسم إمامي، سوش، طهران، ط٢، ٢٠٠٠م، ص٥٠-٥١.

وفي ذلك يقال: "إن أبا احمد العباس بن الحسن وزير المكتفي استشار أصحابه من الأتراك وأصحاب الدواوين فيمن يلي الخلافة، فقال له الحسن بن الفرات: "اتقِ الله ولا تتصب في هذا الأمر من قد عرف دار هذا، ونعمة هذا، وبستان هذا، وجارية هذا، وفرس هذا، ومن لقى الناس ولقوه، وعرف الأمور، وتحنك وحسب حساب نعم الناس (يشير بهذا إلى عبد الله بن المعتز) قال الوزير: فبمن تشير؟. قال ابن الفرات: بجعفر بن المعتضد (وهو المقتدر). فقال الوزير: جعفر صبي! قال ابن الفرات: إلا أنه ابن المعتضد، ولم تجيء برجل يأمر وينهي، ويعرف مالنا، وبمن يباشر التدبير بنفسه ويرى أنه مستقل؟ ولم لا تُسلم هذا الأمر إلى من يدعك تدبره أنت؟"[١].

وهذا ما أراده الأتراك، طفل صغير لا يملك من أمره شيئًا غاية أمانيه اللعب واللهو، إلا أنه سيحقق رغبتهم في السيطرة علي الدولة وعلي الخليفة نفسه، وقد قالها ابن الفرات صراحة لأخيه العباس: "يكون الخليفة بالاسم وأنت هو على الحقيقة"[٢] وعندما ابدي العباس تخوفه من غضب الناس وعدم مبايعتهم لصبي صغير؛ ليكون إمامًا عليهم، قال له الحسن: " انه ليس للناس من معارضة السلطان في أمر؛ لا

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ،ج٦، ص٥٦٣-٥٦٤؛ ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون)، ت(٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٣، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م، ص٤٤٦؛ أحمد مختار العبادي: إبراهيم محمد علي مرجونة، تاريخ الدولة العباسية، ص٢٢٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٢٦؛ أبو الحسن الصابي: تحفة الوزراء، ج١، ص١٣٢.

سيما إذا أظهرنا أننا نسعي لنقر له حقه في الخلافة بعد أبيه، وان اعترض البعض فرقنا الأموال؛ لإقرار الأمر"[١].

وقد وافق هذا الأمر هوي لدي بن الحسن؛ حيث كان العباس يكره أن يلى الأمر عبد الله بن المعتز، ويخافه خوفا شديدًا[٢]. فاتفقت رغبته مع رغبة أم المقتدر" شغب" التي كانت تدبر لهذا الأمر منذ زمن بعيد، فأخذ العباس يزين الأمر للمكتفي بجعل الولاية بعده لأخيه جعفر حتي حدث ذلك، وجعل له ولاية العهد بعده وأشهد الشهود علي هذا[٣].

وهكذا عمل الأتراك والوزراء على إعطاء الخلافة لمن لا يستحقها حتى يكون لهم الأمر، وله مجرد اللقب، كما رسموا سياستهم بعد ذلك على إفساد تربية الأمراء العباسيين الذين يعدونهم لتولي منصب الخلافة، حتى ينشأ الواحد منهم جاهلاً غرًا، فينصرف إلى لهوه ولذته، ويترك لهم زمام الأمور والتصرف في شئون الدولة[٤].

وبويع جعفر بن أحمد المقتدر بالله بقصر الخلافة المعروف بالقصر الحسيني في سنه (٢٩٥هـ/٩٠٨م) وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وواحد وعشرين يومًا، وهو بذلك أصغر من تولي من بني العباس، فلم يتول قبله من هو أصغر منه، ودارت البيعة على يدي مولي أبيه، صافى الخرمي، وحضر العباس بن الحسن الوزير وابنه احمد حتى تمت البيعة، ثم غسل المكتفي ودفن، ويقول الطبري أن: "بيت المال كان يحتوي علي خمسه عشر ألف آلف دينار – خمسة عشر مليون دينار– يوم بويع،

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٢٦.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٢٦.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٢٥-٢٦.

(٤) أحمد مختار العبادي: إبراهيم محمد علي مرجونة، تاريخ الدولة العباسية، ص٢٣٠.

وستمائة ألف دينار في بيت مال العامة[١].

وكانت النتيجة المتوقعة هي رد الجميل للأتراك الذين مكنوه من الأمر، وعملت شغب بذكائها علي إقرار ذلك، ومن ثم استمر الوزير أبو العباس بن الحسن ابن الفرات في وزارة المقتدر مثلما كان من قبل في وزارة المكتفي، ففي اليوم الثاني من البيعة خلع الخليفة المقتدر بالله على الوزير أبى أحمد العباس بن الحسن خلع الوزارة، وأمره أن تجرى الأمور مجراها على يده[٢]، كما أقر أصحاب الدواوين على ما كانوا عليه، وسوسن مولى أخيه المكتفي على الحجابة، وخلع على فاتك المعتضدي، ومؤنس الخادم[٣] ويمن غلام المكتفي، وابن عمرويه صاحب الشرطة ببغداد، فسارت الأمور علي ما كان من تدبير الأتراك، ودانت لهم الأمور بموافقة شغب أم المقتدر الذي لم يكن له من الأمر شيء[٤].

وقد استطاعت أم المقتدر أن تمارس بعض الأدوار السياسية، حاولت تقريب وجهات النظر بينها وبين الأتراك؛ لأنها أدركت أن الحماية والبقاء في السلطة مرهونان برضي الأتراك أصحاب السطوة والقوة والنفوذ، وفي ذلك قراءة سياسية جيدة منها للموقف آنذاك.

---

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٢٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٢، ص٢١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٢م، ص١٦٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٢٨.

(٣) مؤنس الخادم: لقّب بالمظفّر، وكان شجاعًا مقدامًا فاتكًا مهيبًا، وكان له من المكانة وعلو الشأن في الدولة العباسية قدر كبير، عاش تسعين سنة، منها ستون سنة أميرًا، أبعده المعتضد بالله إلى مكة، وعندما بويع المقتدر بالخلافة أحضره وقرّبه وفوّض إليه الأمور، فنال من السعادة والوجاهة ما لم ينله خادم قبله. للمزيد راجع: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٣٩.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٢٨.

ثانيًا" محاولة خلع المقتدر وجهود شغب في الحفاظ علي الخلافة.

بمجرد إعلان الخلافة للمقتدر انقسم الناس في بغداد إلى فريقين، فريق يؤيد تولية الطفل جعفر بن المعتضد، وفريق يؤيد تولية ابن المعتز، وكان على رأس الفريق الأول الوزير أبو أحمد العباس ومؤنس الخادم ومؤنس الخازن وغيرهم من الأتراك، وكان الفريق الثاني يمثله دون شك مجموعة من العناصر الأخرى غير التركية، التي كانت تناصر ابن المعتز، والحسين بن حمدان، غير أن الغلبة والقوة كانتا في جانب الذين مع المقتدر؛ فتم لهم الأمر وأعيد المقتدر للخلافة بعد يومين من خلعه، وتأكيدًا للأمر قتل ابن المعتز(١).

يقول الطبري متعجبًا لما جري من أحداث في خلافة المقتدر:" لم ير الناس أعجب من أمر ابن المعتز والمقتدر، فإن الخاصة والعامة اجتمعت على الرضا بابن المعتز وتقديمه وخلع المقتدر؛ لصغر سنه، فكان أمر الله قدرًا مقدورًا"(٢) وكان المقتدر لا يعرف من أمور الدولة شيئًا، حتي أنه لا يدري أنه خلع ليوم وليلة لمصلحة ابن عمه عبد الله بن المعتز(٣).

وكانت شغب تتابع الأمور بنفسها لإقرار الأمر لابنها حتي استقرت الأمور وأصبح ابنها الخليفة الشرعي للبلاد، وأصبحت الجارية شغب أم الخليفة الحاكم، ومنذ هذا الوقت ظهرت" شغب" علي المسرح السياسي؛ لتتحكم في أمور الخلافة رسميًا

(١) المسعودي: التنبيه والإشراف، ج١، ص٣٢٦-٣٢٧؛ ابن الجوزي: تجارب الأمم، ج٥، ص٥٣-٥٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٥٦٩؛ اليافعي (أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد)، ت(٧٦٨هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج٢، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، ص١٦٨.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٣٣.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٢١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٥٧٤؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة، ج١، ص١٧٨.

طيلة مدة خلافة ابنها المقتدر، دون أن يقف أمام طموحها أي شيء، بعد أن طوعت الجميع لتحقيق أغراضها السياسية، وإحكام قبضتها علي زمام الأمور، فعظم شأنها.

أما المقتدر فعكف على لذاته بين المغنيين والنساء، وترك أمور الدولة لأمه والقادة من الأتراك فقبضت شغب علي زمام الأمور وأخذت تديرها بكل قوة وحزم، فتعاظم شأنها في دولة ابنها(١).

ثالثًا: شغب أم الخليفة المقتدر بالله ودورها السياسي:

١- تحريم لقب "شغب": بدأت **شغب** سلطتها بتحريم النطق بلقب شغب الذي أطلقه عليها زوجها الخليفة المعتضد، واتخذت لنفسها لقب "**السيدة**" تعظيمًا لقدرها وعلو شأنها؛ فأصبح لقبها الرسمي في الدولة" السيدة" وكان يقرن أحيانًا بأم المقتدر"، فيقال" السيدة أم المقتدر" فصارت في عهد ابنها لا تعرف إلا بهذا اللقب، فكان القائل إذا قال: "أمرت السيدة" علم أنها شغب أم المقتدر، وكان أمرها لا راد له(٢).

وكانت الخطوة الثانية التي اتخذتها السيدة الأم، هي اتخاذها **ديوانًا خاصًا** بها يقوم بأمره كاتب مختص يجري مجرى الوزير، وكان أحمد بن العباس بن الحسن أول كاتب ولته السيدة ديوانها(٣)، ومع كثرة ضياعها وأموالها وجواهرها، كثر كتّابها الخاصون الذين كانت تختارهم بعناية بالغة؛ للقيام بأمر ضياعها وأسبابها وحشمها، ومن هؤلاء قسيم الجوهري الذي كان يشرف للسيدة أم المقتدر على ضياعها في واسط بالعراق.(٤).

(١) اليافعي: مرآة الجنان، ج٢، ص١٦٩، ١٨٤.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص٥٩؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٤، ص٨٠٧؛

(٣)الطبري: تاريخ الرسل، ج١١، ص٢٨؛

(٤) أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص٣٨.

٢- **الاستعانة بالنساء في أمور الدولة:**

جاءت الفرصة للسيدة أم المقتدر؛ للسيطرة علي أمور الدولة، من خلال ابنها الذي تعلق بها وبخادمتها ثمل تعلقًا شديدًا، والانتقام ممن خذلوها في القصر أيام عزل المعتضد لها، وقد استعانت بمجموعة من النساء – الجواري- لتنفيذ أوامرها، فسارت أمور الدولة تجري علي أيديهن، حتي أطلق البعض علي عصرها "**عصر النساء**"؛ فكانت النساء والجواري يقمن بدور كبير في تدبير شئون الدولة جنبًا إلي جنب مع أمراء العسكر ورؤساء الإدارة من الوزارات الكثيرة المتعاقبة، بل كانت لهن اليد الطولي في عزل الوزراء والأمراء وتعيينهم وعزلهم، وسارت الأمور تسير وفق أهوائهن(١).

ويتضح مما سبق أن السيدة أم المقتدر حاولت أن يكون لها نفوذ وقبضة سياسية بجانب الوزراء والقادة الأتراك أصحاب السلطة الفعلية في البلاد ففكرت أن تحصل علي هذا الأمر من خلال إخلاص بعض الجواري ونساء القصر؛ فكن بمنزلة همزة الوصل بينها وبين الوزراء والقادة الأتراك، وأشركتهن في بعض الأمور السياسية ومن خلالهم حققت بعض النجاحات ووصلت إلي أهدافها في كثير من الأحوال.

وأصدرت السيدة أم المقتدر قرارًا بجعل خادمتها (ثمل) قهرمانة(٢) لها وحدها، فأصبحت وصيفتها الخاصة وكبيرة الوصيفات في القصر العباسي، وكان ذلك ولا شك

(١) القلقشندي: مآثر الإنافة، ج١، ص٢٧٧؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ج١، ص٣٢٨؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٦٥؛ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج٢، ص٧٤.

(٢) قهرمانة: والجمع قهارمة، وهي نوع من أنواع الجواري في المجتمع العباسي، غير أنها ارفع شأنًا وأعلي منزلةً من الجواري، التي تنتمي إليهن، استخدمت هذه التسمية للإشارة إلي الوظيفة التي تخص الأمور المالية من الدخل والخرج في البلاط العباسي، ثم تعددت وظائفها تبعًا لنفوذها، فأصبحت المربية ومديرة القصر والقائمة علي شئونه والحافظة لما تحت يديها والقائمة بأموره ومسئولة السجن والقاضية. (للمزيد راجع: ابن منظور: لسان العرب، ج١٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، فصل القاف، ص٤٩٦؛ رينهارت بيتر دوذي: تكملة المعاجم العربية، ج٨، ترجمة: محمد سليم النعيمى، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٧٩م، باب: قوب، ص٤٠٣؛ على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي، ص٤٣٩).

تقديرًا لجهودها معها في الفترة السابقة، وتعدي الأمر ذلك فوسعت لها السيدة في نفوذها، فأصبح لها الكثير من النفوذ والقوة داخل القصر، ومن ثم كان للسيدة أم المقتدر ولجاريتها ثمل الكلمة الأولي في أمور الدولة، وصارت ثمل من ربات النفوذ والسلطان والساعد الأيمن لأم المقتدر في شئون الدولة وسياستها، وأضحت تولي وتعزل كبار رجال الدولة، وعلي رأسهم الوزراء(١).

كما اتخذت السيدة أم المقتدر لنفسها قهرمانة خاصة تشرف علي إدارة شئونها المالية وأملاكها الواسعة، تدعي فاطمة، بالتعاون مع كاتب ديوانها أحمد بن العباس، وبلغت فاطمة مكانة رفيعة في القصر العباسي؛ بسبب قربها من السيدة الأم، غير أن تلك المكانة لم تستمر طويًلا، ففي عام (٢٩٨هـ/٩١٠م) انقلبت السيدة أم المقتدر علي فاطمة، وقررت التخلص منها، فأمرت بمصادرة أموالها، ولم تفصح المصادر عن سبب هذا التغير السيدة، إلا أن بعض المؤرخين ذكروا أنه قد عثر علي جثتها غريقة في نهر دجلة، ومن الغريب أن السيدة أم المقتدر قد أقامت لها جنازة فخمة، حضرها كبار رجال القادة والقضاة وكبار موظفي الدولة؛ إكرامًا لأم الخليفة، ثم أمرت السيدة أم المقتدر بتولية أم موسى الهاشميّة قهرمانة بدلًا منها، فكانت أم موسي تؤدّى رسائلها ورسائل المقتدر إلى الوزير(٢).

---

(١) مسكويه : تجارب الأمم، ص٧٣؛ أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ج١، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، مكتبة الأعيان، د.ت، ص٤٨ ؛ عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٥٩م، ص١٨٥؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص١١٣؛علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص٤٣٩. يذكر علي حسن أن اسمها ثومال.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦١٠؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٤٧٢؛ مسكويه: تجارب الأمم، ص٧٢.

وزاد نفوذ أم موسي؛ لارتباطها الشديد بالسيدة الأم، وبلغت من المكانة أنها إذا تحركت صاحبها موكب كبير خاص بها وبين يديها الفرسان والرجالة، كما كانت تشارك الوزراء والقواد في تدبير أمور الدولة وفي الركوب في المواكب إلي دار الخلافة، وذلك لما كانت تتميز به من عظمه وهيبة في نفوس الناس، وربما يعود هذا إلي كونها هاشمية الأصل(١).

ولم يقف نفوذ أم موسي عند هذا الحد، فقد جعلت منها السيدة أم المقتدر أشبه بمتحدثٍ رسمي عنها، فكانت تتحدث باسمها في القرارات المهمة، لا سيما عزل الوزراء وتعيينهم سواء أكان هذا بأمر من سيدتها أم إرضاءً لأم موسي نفسها، وهو ما جعل الوزراء والأمراء والكتاب يترددون إليها من أجل الوزارة أو للتوسط لهم عند سيدتها(٢).

كما كانت أم موسي تتدخل في تعيين أمراء الحج، علي الرغم من أن هذا الأمر كان لا يحدث إلا من خلال رجل من طبقة الأشراف – من نقيب الطالبيين أو العباسيين– غير أنها قد جعلت من أخاها أحمد بن العباس يقوم بهذا الأمر، في سنة (٣٠٩هـ/ ٩٢١م) كما جعلت من أختها أم محمد وكيلة لها لتسيير أعمالها، كذلك كانت تتدخل في دفع أرزاق الخدم، ولها الكلمة في زيادة هذه الأرزاق وتقليلها، وتولت أيضًا شراء كسوة الخدم الخاصة بالأعياد(٣).

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٧٢–٧٣؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦١٠ ؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٧٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص١١٨؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٩٥، ٩٧، ١٤١–١٤٤، أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص٣١٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٤٥؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٣، ص٢١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٤٣.

وكان كل هذا النفوذ الذي تمتعت به أم موسي القهرمانة تحت علم السيدة أم المقتدر وسيطرتها، فلما شعرت أم المقتدر بأن هذا النفوذ يمثل خطرًا عليها، تخلصت منها، ولم تسمح بعد ذلك لغيرها بنفوذ إلا بما ترضي به صاحبة النفوذ الأوحد(١).

وكانت الجواري تتدخل في كل ما له علاقة بالقصر وبالمقتدر بالله نفسه الذي شب بينهن، حتي إن خاتم الخليفة نفسه الذي يختم به علي الأمور المهمة في الدولة، ومنها قرارات تعيين الوزراء كان في أيدي بعضهن، فكانت" فرج " النصرانية صديقة أم موسي الهاشمية تحمله وتوقع بدلًا من الخليفة علي عزل الوزراء أو تعيينهم (٢) هذا بالرغم من القرار الذي اتخذه المقتدر بالله في بداية حكمه من عزل النصارى وعدم الاستعانة بأهل الذمة في أمر من أمور الدولة(٣)، إلا أن نفوذ أم موسي وقربها من السيدة أم المقتدر جعل المقتدر يعدل عن رأيه ويستعين بهم داخل قصره.

كما جعلت الجارية " زيدان" قهرمانة المقتدر– وهي رومية الأصل – المسئولة عن السجن الخاص بالوزراء، فكانت السيدة أم المقتدر إذا غضبت علي أحد منهم، أمرت بعزله، ثم تسلمه إلي زيدان؛ لاعتقاله في السجن الخاص بذلك، وكان لزيدان من المكانة والنفوذ داخل الدولة ما جعل الجميع يوقرونها ويحشونها، كانت، كما دعي لها في المخاطبات الرسمية، فقد ذكر ابن الصولي: "أن الوزير ابن الفرات كان يذكرها

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٢٢٧؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص١٤١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٩٤.

(٢) التنوخي (أبو على المحسَّن بن على)، ت(٣٨٤هـ): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج٦، تحقيق: عبود الشالجى، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ص٣٢٨؛ النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب)، ت(٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٣، تحقيق، عبد المجيد ترحينى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ص٣٣.

(٣) القلقشندي (أبو العباس أحمد القلقشندي)، ت(٨٢٠هـ):: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج٣، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، عالم الكتب، بيروت، د.ت، ص٢٣٣.

بالدعاء هي وثمل بعد الدعاء للمقتدر وأمه، بل إنه خص زيدان عنهم بقوله لها بأختي تقربًا منها"[١]. وكانت زيدان تحضر عقوبة الوزير المعزول أو يعهد إليها بتعذيبه، بالإضافة إلي أنه كان يعتقل بدارها التي جعلت منها سجنًا سياسيًا للمعزولين من الوزراء والأمراء[٢].

وهكذا أصبحت النساء في عهد المقتدر بالله يتقلدن كثيرًا من المناصب الإدارية في الدولة، وذلك بفضل نفوذ أم المقتدر ورغبتها في هذا، ولعل ما دفعها إلي الإستعانة بالسيدات رغبتها في الانتقام من الرجال ، لا سيما الخليفة المعتضد الذي سلبها حقها الأنثوي وتجاهلها.

وقد أدي النساء دورًا غير قليل في هذا العهد، وأسهمن بقدر كبير في تسيير أمور عديدة ، وكن أصحاب القرار أو الرأي في إصدار القرارات، وشاركن في صنع الأحداث، وكل ذلك تحت رعاية السيدة أم المقتدر وأمرها، فهي صاحبة الفضل في وصولهن إلي هذه المرتبة والمكانة خلال تلك الحقبة الزمنية من التاريخ.

٣- **تولية الوزراء وعزلهم:**

أدي تدخل النساء في أمور الدولة خلال العصر العباسي إلي ضعفها وحرمانها من وزرائها الأكفاء واستهتار العامة بها، ووضحت تلك الظاهرة في عهد الخليفة المقتدر بالله، حين أصبح الأمر والنهي بيد السيدة أمه، فقد بلغ من نفوذها أنها إذا غضبت هي أو قهرمانتها (ثمل) من أحد الوزراء أصبح مصيره المصادرة والعزل لا محالة[٣].

ولعل هذا يعود إلي حالة القهر والرضوخ التي عاشتها في بداية حياتها منذ بيعها جارية في سوق النخاسة ثم شعورها بأنها إمرأة غير مرغوب فيها داخل القصر

(١) أبو الحسن الصابي: تحفة الوزراء: ج١، ص١٧٢.
(٢) مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٩٢، ٩٥؛ أبو الحسن الصابي: تحفة الوزراء: ج١، ص١٧٢.
(٣) علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي، ص٤٣٩.

العباسي من الخليفة المعتضد الذي كان متصلطًا عليها كابحًا لجماحها وطموحها وأنوثتها، ومن ثم أعلنت الحرب إعلانًا غير مباشر علي كل رجل يمارس التسلط، فجعلته في موضع المقهور المنفذ لأوامرها، ومن ثم قامت بالدور البديل لوظيفة الرجل المتسلط، بفضل سلطتها الشرعية أمًا للخليفة المقتدر بالله[١]؛ لأنه في معظم الأحوال يأتي انحراف السلوك نتيجة مباشرة للظروف والملابسات التي صاحبت تكوين الشخص خلال فترات حياته فالإنسان صنيعة بيئته المحيطة؛ ولهذا نجد للسيدة أم المقتدر قرارات موفقة، وأخري غير منطقية، وذلك لأن الظروف التي عاشتها جعلت منها امرأة ذات ازدواجية في قراراتها.

فجعلت السيدة أم المقتدر من أبي الحسن علي بن الفرات وزيرًا للمقتدر تقديًرا لجهوده، فحل محل العباس الذي قتل بعد توليته للوزارة بوقت قصير[٢]، فكان له الأمر بأمر من السيدة أم الخليفة [٣] وكان ذلك –ولا شك – تقديرًا لجهوده في نقل الخلافة لابنها المقتدر، منذ أن أبدي رأيه بتولية ابنها الخلافة بدلًا من ابن المعتز واستمراره في تثبيت الأمر له، ومن ثم فقد جاء ليحصد ثمار رأيه وجزاء فعله.

ووزر ابن الفرات للمقتدر ثلاث مرات، وكانت وزارته الأولي سنة (٢٩٦–٢٩٩هـ/ ٩٠٨–٩١٢م) فجُعل له تدبير الأمور، وخلعت عليه خلع الوزارة، وركب في موكب ومعه أبو القاسم غريب الخال أخو السيدة أم المقتدر والحجاب والأمراء والقواد والغلمان وسائر الناس حتى وصل إلى داره بسوق العطش، ثم أقطعه المقتدر كثيرًا

(١) مصطفي حجازي: التخلف الاجتماعي، ص٢٢٥؛ سالم القمودي: سيكلوجية السلطة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٩.

(٢) أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ج١، ص١٣، ١٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٢١.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٢٦؛ أبو الحسن الصابي: تحفة الوزراء، ج١، ص١٣٢.

من الإقطاعات وأجرى له خمسة آلاف دينار في كل شهر، وجعل لأولاده المحسن والحسين والفضل ألفاً وخمسمائة دينار تقسم فيما بينهم(١).

ومن الملاحظ أن السيدة أم المقتدر بالغت في العطاء للوزير ابن الفرات وجعلت له من المكانة والكلمة المسموعة بين الخاصة والعامة، ما أتاح له أن يقف بين يدي الخليفة وهو جالس علي كرسي الخلافة ويخاطب الناس والجيش بدلًا منه، وكان هذا بأمر منها وبمراقبتها، حتي إذا انصرفوا، أمرت بإعداد الحجرة لابن الفرات، وخروج المقتدر إليه، فاذا اقبل المقتدر، قام الوزير مقبلا يده ورأسه، ثم يقعده في حِجره، كما يفعل الناس بأولادهم، والسيدة تراقب من وراء الباب، وتتحدث إلي الوزير وتؤكد فضله في تقليده الخلافة والقضاء علي الفتنة، وتذكره أن المقتدر بمنزلة ابنه، وكان ابن الفرات علي قدر كبير من الدهاء والذكاء، إذ أخذ يردد لها أن المقتدر مولاه وإمامه وولي نعمته، وظل علي هذا المنوال مدة وزارته الأولي حتي تمكن من خزائن الدولة وأموالها، (٢) وبالرغم من ذلك لم تكن السيدة أم المقتدر غافلة عن هذا، إلا أنها لم ترد أن تلقي به أو تعزله في ذلك الوقت الحرج من ولاية ابنها، ولا سيما في ظل سيطرته علي الجيش وبعض رجال الدولة، فكانت تحتاج إليه بشدة، حتي تواتيها الفرصة وتتمكن من السيطرة علي امور الدولة.

ومثلما كانت السيدة أم المقتدر صاحبة القرار في تولية ابن الفرات الوزارة كانت أيضًا صاحبة القرار في عزله، وذلك عندما زاد تجرؤه علي مال بيت مال الخاصة، وتعدي الأمر لرفضه أداء ما عليه من نفقات للمقتدر وأمه، فأمرت بعزله بعد أن أوقعت به بحجة شكوي قادة الجيش منه، وذلك في سنة (٢٩٩هـ/٩١١م)،

(١) قال الصولي: كان العباس الوزير قد دبر خلع المقتدر مع الحسين بن حمدان، ومبايعة ابن المعتز، ووافقهما وصيف، فبلغ المقتدر الخبر، فأصلح حال العباس، ودفع إليه أموالًا أرضته، فرجع عن رأيه، فعلم ابن حمدان، فقتله لذلك. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص١٣.

(٢) أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص١٣٢-١٣٣.

فقبض عليه وعلي كتابه، وأمرت بقتل حريمه ونهبت داره، ودور أولاده و أقاربه، كما صادرت ما كان له من الضياع والإقطاع والأملاك والعقار والأموال والغلات[١].

وهكذا ظلت السيدة أم المقتدر تُعمل دهاءها حتي تمكنت من الأمور، فكان قرارها بالتنكيل بوزيرها ووزير ابنها، بعد أن أحكمت خطتها، وكانت الشدة والقسوة التي اتبعتها مع الوزير ابن الفرات هي الوسيلة المعروفة عنها في التنكيل بكل من يعصي أوامرها بعد ذلك.

ثم أمرت بتولية الوزارة لمحمد بن يحيي الخاقاني (٢٩٩-٣٠١هـ/ ٩١١-٩١٣م)، وكان مؤنس الخادم رئيس الحرس هو من أشار عليها به، بعد أن استعملته وجعلته من رجالها، إلا أن الخاقاني كان غير كفء لذلك، وكان سيئ السيرة والتدبير، كثير التولية والعزل، وقيل: "إنه ولي في يوم واحد تسعة عشر ناظرًا للكوفة، نظير رشوة من كل منهم"[٢]، ففسدت الأمور بوزارته، وخرج عليه الجند وأهانوه، فكان قرار أم المقتدر بعزله ومصادرة أمواله وأموال أهله؛ فجري عليه ما جري لابن الفرات[٣].

ثم ولت علي بن عيسي ابن الجراح[٤] الوزارة (٣٠١-٣٠٤هـ/٩١٧-٩١٨م) وكان في بغداد، استدعاه الخليفة وولاه الوزارة بأمر من السيدة الأم، وقد عمل ابن

(١) أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص٣٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٢١-٤٢٢.

(٢) ابن طباطبا (محمد بن على بن طباطبا): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٢٦٠.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص١٠٤؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٧٦.

(٤) أبو الحسن، علي بن عيسي بن داود بن الجراح بن مهاجر حسنبس بن صبار بخت بن شهريار البغدادي الحسيني، فارسي الأصل، ولد في سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) نشأ في بيت علم وأدب ومعرفة، تربي تربية اسلامية، حفظ القرآن الكريم، واشتغل بالحديث وعلومه، عمل هو وعائلته وأبناؤه في خدمة الدولة العباسية، زاع صيته في مجال الادارة وحسن التدبير، فكان الخلفاء العباسيون

عيسي علي إصلاح الأمور في الدولة، فأحسن الإدارة، وحاول إصلاح ما أفسده ابن الفرات، وكان حسن السيرة، فلم يرض عنه خواص المقتدر، فكثرت عليه السعاية[١].

فصرف عن الوزارة في العام نفسه، وأعيد إليها ابن الفرات، فكانت وزارته الثانية(٣٠٤هـ- ٩١٦م) حيث أرسل ابن الفرات رسله إلي المقتدر بالله و السيدة أمه برقعة، عن طريق أحد أعوانه ممن سلموا من التنكيل، يذم في ابن عيسي، ويذكرها بتأخير نفقات الجند علي يده، فقد كانت أخبار ابن عيسي ورسائله إلي الخليفة تعرض علي ابن الفرات أولًا بأول وهو في سجنه، عن طريق الطبيب سومنة، وفي الوقت المناسب أرسل ابن الفرات متوسلًا يعلم الخليفة وأمه بأنه متى عزل علي بن عيسى ورد هو للوزارة، أعطي من الأموال للولد والحرم والخدم ومن بالحضرة من الفرسان مثل ما كان يعطيه في وزارته الأولى تماماً لا ينقص منها شيء، ويحمل للمقتدر بالله في كل يوم ألف دينار وإلى السيدة والأمراء خمسمائة دينار، ويحمل كل يوم إلى بيت المال ألف دينار وخمسمائة، وتعهد ابن الفرات بذلك، فعاد إلي الوزارة، ومن الغريب أن الذي ساعده علي ذلك هو غريب الخال أخو السيدة أم المقتدر الذي نهب في المرة الأولي دار ابن الفرات، غير أن المصلحة في هذه المرة تقتضي ذلك[٢].

يستدعونه للاستعانه به، فعمل في الدواوين، وفي الوزارة، وفي المظالم، وعمل مستشارًا للمقتدر بالله، ظل في خدمة الدولة العباسية ما يقرب من السبعين عامًا، توفي في سنة(٣٣٤هـ/ ٩٤٥م) عن عمر بلغ تسعة وثمانين عامًا(للمزيد راجع: أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص٣٠٥؛ ضيف الله يحيي الزهراني: الوزير العباسي علي بن عيسي بن داود بن الجراح ٢٤٥-٣٣٤هـ/ ٨٥٩-٩٤٥م، إصلاحاته الاقتصادية والإدارية، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية(٢٧)، مركز بحوث الدراسات الاسلامية، مكة المكرمة، ١٩٩٤م، ص١٢-١٧، ٣٥).

(١) أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص٣٤؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٢١-٤٢٢.

(٢) المقدسي: تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص١٨؛ أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ج١، ص٣٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٢١-٤٢٢.

فأمرت السيدة أم المقتدر بعزل ابن عيسي (٣٠٤هـ/ ٩١٦م) عن الوزارة، وأعيد مكانه أبو الحسن علي بن الفرات، ولم يكن ما قد تعهد به ابن الفرات من توفير الأموال للخليفة وأمه السبب الأوحد لعزل ابن عيسي، بل كان هذا الأمر إرضاءً أيضًا لأم موسي قهرمانة أم المقتدر، التي بلغت من السطوة والنفوذ مبلغًا عظيمًا داخل الدولة بفضل السيدة الأم، وكان السبب في عزل الوزير؛ أن أم موسي قد ذهبت إليه لتتفق معه على ما يحتاج حرم الدار والحاشية من الكسوات والنفقات، فوصلت إليه وهو نائم، فقال لها حاجبه: "إنه نائم ولا أستطيع إيقاظه، وطلب منها الجلوس في الدار ساعة حتى يستيقظ، فغضبت أم موسي من هذا وعادت.."، واستيقظ علي بن عيسى في الحال، فأرسل إليها حاجبه وولده يعتذران، فلم تقبل منهما الاعتذار، ودخلت على المقتدر بالله تحرضه على الوزير، وفعلت هذا وعنده السيدة الأم، وكانت النتيجة عزل الوزير عن الوزارة، ومصادرة أمواله وأموال وأهله وأقاربه[١].

وهكذا عزل ابن عيسي رغم كفاءته، وعاد ابن الفرات علي رؤوس الأشهاد رغم سوئه، ولم يكن ذلك إلا للانتقام من الوزير الذي تجرأ وزادت قوته ومنع الأموال عن الخليفة وأمه، فكان لزامًا عقابه وكسر أنفه، أما ابن عيسي فجاء عزله ومصادرة أمواله وإهانته؛ لأنه أساء دون قصد إلي قهرمانة أم المقتدر وفي ذلك – من وجهة نظر أم المقتدر – إهانة لشخصها؛ فعزلت وعاقبت دون النظر للمصلحة العامة.

وسار ابن الفرات في موكب عظيم حتي وصل إلي دار الوزارة، وحضر إليه الناس على طبقاتهم، للسلام والتهنئة، وحمل إليه المقتدر والسيدة أمه مالاً وثياباً وطيباً وطعاماً وأشربه وثلجاً، ورد المقتدر بالله ما كان قبض عنه وعن أهله وكتابه وأسبابه

(١)المقدسي(محمد بن عبد الملك الهمذاني)، ت(٥٢١هـ/١١٢٧م): تكملة تاريخ الطبري،ج١، تحقيق: البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م، ص١٨؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٤٥؛ علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي، ص٤٤٠.

من الضياع والأملاك، فعاد إليه ما سلب منه من المال و القواد[١]، ولا عجب في ذلك ما دام قد التزم بما سيوفيه من أموال للخليفة وأمه بقطع النظر عن الوسيلة، ولاشك أن هذا الالتزام يدفع ثمنه الشعب من المصادرات وغيرها.

وعلي ضوء ما سبق يفهم أن السيدة أم المقتدر أصبحت ذات حظوة وقوة ونفوذ، واستطاعت أن تدير معاركها مع القادة والوزراء الأتراك بنجاح، فالبرغم مما كان لهم من شأن ونفوذ في الدولة، كان لها اليد الطولي في التولية والعزل والثواب والعقاب، وهذا يعكس حنكة ومهارة سياسية في هذه الأمور تحديدًا.

وأخذ ابن الفرات بتعقب أصحاب الوزير علي بن عيسى وقبض على الخاقاني وأصحابه، واعترض العمال وغيرهم، وأعطاهم أموالًا عظيمة ليقوم بما ضمنه،[٢] ثم عمل علي تعويض ما فقده من أموال عند عزله في المرة الأولي، فنصب ديوانًا للمرافق واستوفاها من العمال والمتصرفين والمصلحين والمصادرين، كما تستوفى الحقوق، ثم تتبع ما بقي من ودائعه التي أخذت في نكبته والتي وزعت علي بعض من أهل الدار والقواد والخواص، فأخذها قهرًا دون أن يعوضهم عنها، فارتجع منها خمسمائة ألف دينار، ثم أخذ يصادر أموال الناس، فكثرت المصادرة في عهده، وعندما طلب منه المقتدر بالله مالاً لبعض مهامه، منعه عنه، فجري له ما جري من قبل، وسلم إلي زيدان معتقلًا، ورغم محاولات أحمد بن عبد الحميد كاتب السيدة أم المقتدر، للصفح عنه فإن ذلك لم ينقذه من العقاب[٣].

(١) أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص٣٦؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٢١-٤٢٢.

(٢) المقدسي: تكملة الطبري، ج١، ص١٨؛ أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص٣٧.

(٣)المقدسي: تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص١٨؛ أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء ، ج١، ص٣٧، ١١١-١١٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٨٣.

ووزر بدلًا منه حامد بن العباس الذي توسط له قسيم الجوهري الذي كان يشرف علي ضياع السيدة أم المقتدر بواسط، ورأي منه سخاء اليد – وهو المطلوب–، فكان له الأمر بأمر من السيدة الأم، رغم انعدام كفاءته، فساءت الأحوال في بغداد(١)، وفي سنة (٣٠٩هـ/٩٢١م) قام الناس بثورة عليه في الحاضرة بغداد، بسبب غلاء الأسعار، وطالبوا بخلعه، ثم ساروا إلي السجون وفتحوها، واتجهوا إلي قصر الخليفة، فخرج إليهم الجند وعلي رأسهم هارون ابن غريب الخال ونازوك الوالي، فلما رأى حامد الوضع متأزمًا، فسأل المقتدر في أن يأذن له في السفر إلى واسط؛ ليرسل عماله حاملين ما فيها من الأطعمة إلى بغداد؛ حلًا لتلك الأزمة، فوافق المقتدر، ثم سأله أن يعفيه من الوزارة، غير أن الخليفة رفض ذلك(٢).

وكان المقتدر قد عرض على على بن عيسى الوزارة فأباها، فأسرها المقتدر في نفسه ولم يبدها في الحال، بل أظهر عدم المبالاة بالأمر، وبالغ في ذلك، وأهدي ابن عيسي سوادا يدخل به عليه، كما يفعل الوزراء، فاستعفي من ذلك، ولم يفارق ابن عيسي الدار حتي قبض عليه(٣)، وفي الحال توجه هارون بن غريب الخال إلى أبى على محمد بن الحسن المعروف بابن مقلة، فأخذوه إلى قصر المقتدر، وكان هذا بعد مراسلات حدثت بينهما وضمانات تعهد بها ابن مقلة بتوفير الأموال، ومن ثم قلده المقتدر وزارته، وفوض إليه أموره(٤).

وفي سنة (٣١١هـ/ ٩٢٣م) دخلت أم موسى القهرمانة علي الوزير حامد بن العباس، وكانت كبيرة القدر، فخاطبته في طلب المال، فأخجلها في الحديث، فلم يمر

(١) مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص١١٢؛ أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص٣٧–٣٩، ١١١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٦٥٦؛ ابن خلدون: العبر، ج٣، ص٤٦٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٧٨.

(٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٧٨.

(٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص١١٧؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٢٢٨.

العام حتي لاقي مصير ابن عيسى نفسه، وتقلد الوزارة ابن الفرات للمرة الثالثة (٣١١-٣١٢هـ/٩٢٣-٩٢٤م)، حيث أفرج عنه من سجن زيدان القهرمانة في العام نفسه، وعن أبي أحمد المحسن ابنه الذي كان معتقلًا معه، وسُلم إليه حامد وعلي بن عيسى، أما حامد فإن المحسن ابن الوزير ابن الفرات ضمنه عند المقتدر بخمسمائة ألف ألف دينار(أي نصف مليون دينار) فتسلمه فعاقبه بمختلف أنواع العقاب، وأخذ منه أموالًا جزيلة لا تحصى ولا تعد، ثم أرسله مع موكلين عليه إلى واسط، ليستولوا على أمواله، بعدما شرطت عليه السيدة أم المقتدر أن يوفي بضمانه الأول لأعمال واسط، وأن يؤدي مبلغًا محددًا من المال للخليفة وأمه[١].

غير أن ابن الفرات قد أمر رجاله أن يسقوه سما في الطريق، فسقوه ذلك في بيض مشوي كان قد طلبه منهم، فمات في السنة نفسها[٢]، أما علي بن عيسى فإنه صودر منه ثلاثمائة ألف دينار، كما صودرت أموال كُتابه، فكان جملة ما أخذ من هؤلاء مع ما صودر من أموال وغيره من الذهب والأثاث والأملاك والدواب والأواني الذهب والفضة مالًا كثيرًا عجز المؤرخون عن تحديد قيمته، وقد صدر الأمر بحبس ابن عيسي عند زيدان القهرمانة، ثم نفيَّ إلي مكة ومنها إلي صنعاء بتدبير من ابن الفرات[٣]. ويذكر بعض المؤرخين أن نفوذ أم المقتدر في ذلك الوقت قد فاق الحدود، فأصبحت تتحكم في كل شيء في الدولة، في حين أن الخليفة كان قابعًا في داره ليس له من الأمر شيء عاكفًا علي ملذاته[٤].

(١) أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص٣٧ص٤٠.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٦٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٣، ص٣٤٧.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٦٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٣، ص٣٤٧؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص٤٢٣.

(٤) مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٦٥؛علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي، ص٤٤٠.

وقررت السيدة أم المقتدر التنكيل بابن الفرات، فكان عزله للمرة الثالثة (٣١٢هـ/ ٩٢٤م)، وكان السبب في ذلك أنه أخطأ في حق السيدة، عندما خاطب يومًا أحد خواصه قائلًا: "أتخوفني بكلام امرأة"، يقصد السيدة أم المقتدر، فلم يمض إلا القليل وقبض علي ابن الفرات وصودرت أمواله وجميع ممتلكاته، وقتل ذبحًا وهو في الحادي والسبعين من عمره(١).

ويذكر ابن كثير أنه في هذا العام ثارت العامة، وتوجهوا إلي السجون وكسروها، فأخرجوا من كان بها، وتعقبت الشرطة من أخرجوا من السجن وردتهم إليه مرة أخري، كما يذكر أن الذي حج بالناس في هذا العام أحمد بن العباس أخو أم موسى القهرمانة الذي نال مكانة كبيرة في عصر السيدة أم المقتدر(٢)، ونتج عن هذه المصادرات ضعف في الاقتصاد وصراعات داخلية أدت إلي عدم الاستقرار وقلة الأمن، وكثرت الوقيعة بين القادة حتي ينجو صاحب الوقيعة بما لديه من ممتلكات.

ومن العجيب عن هذا الوزير ما ذكره ابن طباطبا في الآداب السلطانية، واصفًا حال الخلافة الإسلامية في وزارته قائلًا:" إذا ولي ابن الفرات الوزارة ، يغلو الشّمع والثّلج والكاغد؛ لكثرة استعماله لذلك؛ لأنّه ما كان يشرب أحد كائنا من كان في داره في الفصول الثلاثة إلا الماء المثلوج، ولا كان أحد يخرج من عنده بعد المغرب إلا وبين يديه شمعة كبيرة نقيّة. صغيرا كان أو كبيرًا، وكان في داره حجرة معروفة بحجرة الكاغد، كلّ من دخل واحتاج إلى شيء من الكاغد أخذ حاجته منها(٣).

ونظرًا لشدة العقوبة والإهانة التي كان يتعرض لها الوزراء، أصبح الكثير منهم، لا سيما الأكفاء عاكفين عنها، بعد أن علموا أن الأمور تسير حسب أهواء أم

(١) أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص٤٢؛ ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي، ج١، ص٢٤٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٦٨؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٣، ص٣٤٧.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية، ج١، ص٢٥٩.

المقتدر وجواريها، والبعض الآخر لم يهتم بذلك وبذل الأموال؛ ليصل لهذا المنصب، وما بين غرامات ومصادرات وهبات وتولية وزير وعزل آخر فسدت الأحوال داخل الدولة وخارجها.

اوجتمع المقتدر والسيدة أمه وثمل قهرمانتها من جديد؛ لتحديد من يتولى أمر الوزارة، فمالت ثمل برأيها إلى أبي العباس احمد بن عبيد الله الخصيبى، وكان كاتبًا لام المقتدر، وتم له أمر الوزارة سنة (٣١٤-٣١٦هـ/ ٩٢٦-٩٢٨م) فهابه الناس؛ لموضعه من السيدة الأم، وعناية ثمل القهرمانة به، وشدته عليهم، فلم يترك أحدًا إلا وأخذ ماله، فقل المال وضاق الحال، وتضجر الناس من ذلك، واستمر الخصيبي في شدته مع الناس وفي مطالبتهم بالأموال، فلم يدع عند أحد مالًا أحس به إلا أخذه بأشد ما يكون من الأخذ، كما كان كثير السكر والشراب، فاستاء الناس من وزارته[١].

أما ثمل فكانت مشغولة بالبحث عن كاتب للسيدة الأم يحل محل الخصيبي الذي انشغل بالوزارة، فوقع اختيارها علي عبد الرحمن بن محمد بن سهل، وصدر له الأمر بذلك، وكان قد لزم بيته قبل أن يسند اليه هذا العمل وتاب من عمل السلطان، فلم يستطع رفض أوامر السيدة الأم، فكسر توبته، فسمّاه الناس المرتد، غير أنه أعاد أموالًا جليلة كان الخصيبى قد أضاعها، وكانت ثمل قد تنكرت للخصيبي[٢]، وهذا يعني عزله ومصادرة أمواله وذلك ما قد وقع،[٣] فندم الخصيبي ندمًا شديدًا علي توليته

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص١٠٩-١١٠؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٢١٦.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص١١١. مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٥، ص٢١١؛ المقدسي: تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٤٧؛ المسعودي: مروج الذهب، ج٨، ص٢٨٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٧٠٥؛علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي، ص٤٤٠.

الوزارة وتركه لخدمة السيدة أم المقتدر بعد أن ثبتت عدم كفاءته في أمور الوزارة[١].

وكان البديل عن الخصيبي هو علي بن عيسي الذي عفا عنه الخليفة بعد نفيه وأعاده للوزارة مرة أخري رغمًا عنه، وقد حاول ابن عيسي أن يعتذر عن الوزارة، غير أن اعتذاره لم يقبل فتجددت مأساته وأعيد للوزارة في سنة(٣١٤هـ/٩٢٦م) وكان ابن عيسي ينتظر الغدر به من حين لآخر، وحلت عليه نقمة الخليفة والسيدة أمه؛ فعزل وقبض عليه بعد توليته للوزارة بعامين (٣١٦هـ/٩٢٨م)، بالرغم من إصلاحه للأمور وأمن الناس معه، ولم ينته الأمر به عند هذا الحد، فقد جعل له الخليفة النظر في الدواوين في سنة (٣١٨هـ/٩٣٠م) ثم عزل وقبض عليه وهكذا ظل ابن عيسي في تخبط واضطراب يتأرجح بين وزير وسجين إلي أن ولي الوزارة في زمن القاهر أخي المقتدر[٢].

ومما سبق يتضح أن المقتدر قد وزر له وزراء كثيرون بلغوا اثني عشر وزيرًا –كما تذكر المصادر– منهم من وزر له مرتين أو ثلاثًا، وكان لكل وزير أتباع ومحاسيب يرتفع ذكرهم وتتحسن أحوالهم بتوليته الوزارة، ويتم عزلهم إذا عزل، فعم الاضطراب والتخبط في مختلف أمور الدولة، ولم يكن الاضطراب الذي وقع لابن عيسي إلا نموذجًا مصغرًا من ذلك الاضطراب والتخبط، وما جري للوزراء جري أيضًا لكبار الموظفين في الدولة من كثرة توليتهم وعزلهم، حتي قيل إنه قد عين في يوم واحد تسعة عشر ناظرًا للكوفة، وأخذ من كل واحد منهم رشوة؛ فساءت الأحوال واضطربت أمور الدولة وتطلع لها الأعداء[٣].

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص١١١. مسكويه: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٥، ص٢١١؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٧، ص١١٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٧٥١.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٩٢.

ويتضح أيضًا أن تلك الفترة من تاريخ الخلافة الإسلامية قد اتسمت بالصراعات والمؤامرات والدسائس، فكانت كالسوس الذي ينخر في قوة الخلافة العباسية وصلابتها التي تداعت ومرضت وصارت أمورها في أيدي النساء يحركنها حسب أهوائهن ورغباتهن دون النظر إلي المصلحة العامة، فكثر العزل والتولية والمصادرة والعطاء، وفقدت الدولة هيبتها، وتصارع الجميع من أجل الحصول علي المزيد من المكاسب، وهذا من ضمن الأشياء التي تؤخذ علي السيدة أم المقتدر، وهو ما يبين ازدواجيتها السياسية فكان منها الحسن والسيئ.

٢- <u>تدخل السيدة أم المقتدر في شئون القضاء وأعماله:</u>

لم يسلم القضاء وهو ميزان الدولة من تدخل السيدة أم المقتدر في العزل والتولية، فنقلت الصراعات السياسية إلي صراعات عمت الهيكل الإداري والقضائي بالدولة، ففي سنة(٢٩٦هـ/ ٩٠٨م) أمرت بعزل القاضي يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد، رغم شهرته بالعفة والقوة[١]، وأمرت بتعيين القاضي محمد بن عبد الله بن أبي الشوارب، قاضيًا لبغداد سنة (٢٩٨هـ/ ٩١٠م) وكان ممن ناصر المقتدر وأمه في القضاء علي فتنة ابن المعتز ومحاولته لنقل الخلافة إليه بدلا من ابنها المقتدر، غير أنه لم يكن كفئًا لذلك العمل[٢]، وكان سيئ السمعة، استعان بحاشية اتصفت بالقبح والفحش، فاستاء الناس منه وهجوه، فصرف عن القضاء وحبس وتولي ابنه محمد بن عبد الله بن أبي الشوارب، بدلا منه[٣].

وأصبح من يعين في منصب مهم هو من ساعد السيدة أم المقتدر أو وقف بجوارها وساندها، أو بمعني آخر كل من نال رضاها، وغاب أهل الخبرة والكفاءة،

(١) البغدادي: أخبار القضاة، ج٢، ص٢٨٢.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٣٣؛ البغدادي: أخبار القضاة، ج٢، ص٢٨٢.

(٣) البغدادي: أخبار القضاة، ج٢، ص٢٨٢؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٧، ص٧.

فحل محلهم أهل النفاق وهو ما يعكس بدوره سلبيًا علي الأداء الإداري للدولة؛ لأن فساد القضاء ومن قبله الوزارة يعني ضياع الأمة وانفراط عقدها.

وزاد الأمر سوءًا، وعمت الفتنة بغداد، عندما أصدرت السيدة أم المقتدر في سنة(٣٠٦هـ/ ٩١٨م) قرارًا كان الأول من نوعه في الدولة الإسلامية، حيث أمرت جاريتها "**ثمل**" بالنظر في المظالم، وقد وقع هذا فعلًا، فكانت ثمل تجلس في دار المظالم – دار العدل – برصافة بغداد تنظر في شكاوي الناس في كل يوم جمعة، وهو ما أثار حفيظة الناس وغضبهم، غير أن أمر أم المقتدر كان واجب النفاذ، ولتخطي هذا الأمر وخروجًا من الأزمة أمرت السيدة أم المقتدر القاضي أبا الحسن الأشناني بالجلوس معها ومساعدتها، فحسن أمرها وأصبحت ثمل تجلس للمظالم ومعها الفقهاء والقضاة والأعيان، وكبار الموظفين والعمال لتحكم بين الناس وتصدر أحكامها، وتوقع بنفسها رغمًا عن الجميع[١] وعلي أية حال فقد أصبح الأمر واقعًا، إذ سجل التاريخ للقهرمانة ثمل أنها أول من جلس للمظالم من النساء في الدولة الإسلامية، وقد ذكر المسعودي أن جلوس القهرمانة ثمل للمظالم ما هو إلا مظهر من مظاهر تدهور الخلافة العباسية في عصر المقتدر، وغلبة النساء علي دولته[٢].

وهكذا تمكنت النساء من الأمر ليس لدرايتهن، بل لقربهن من السيدة أم المقتدر، حتي شاءت الأقدار وتولت قضاء المظالم جارية، وفي ذلك مخالفة صريحة لما كانت عليه نظم الخلافة وأعرافها آنذاك، وهذا يؤكد أن الأحوال صارت جميعها بيد السيدة أم المقتدر تتصرف فيها كيفما تشاء. ويبدو أن السيدة أم المقتدر كانت – في

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص١٨١؛ ابن خلدون: العبر، ج١، ص٤٧٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٩٣– ١٩٤؛ ابن العماد (عبد الحي بن أحمد بن محمد)، ت(١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٤، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٦م، ص٢٩؛ علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي، ص٤٣٩.

(٢) المسعودي: التنبيه والإشراف، ج١، ص٣٢٨.

بعض الأحيان- تأمر القضاة بتنفيذ أوامرها حتي لو كانت منافية للشريعة الإسلامية، فقد طلبت من القاضي ابن بهلول أن يحل لها وقفًا لتأخذه وتتصرف فيه إلا أن القاضي رفض ذلك رغم التهديدات التي لقيها(١).

رابعًا- أبرز مظاهر التنكيل والاغتيال السياسي للسيدة الأم:

١-التنكيل بأم موسى الهاشمية:

-وهي كما تقدم قهرمانة السيدة أم المقتدر منذ سنة(٢٩٨هـ/ ٩١٣م)- وكانت ذات مكر ودهاء وفطنة، كانت في أول أمرها توصل الرسائل من المقتدر بالله وأمه إلى الوزير، ثم علا شأنها، وشأن أخاها أحمد بن العباس معها، حتي أصبحا ذوي كلمة نافذة في الدولة، ثم دارت الدائرة عليها وغضبت عليها السيدة الأم فقررت التنكيل بها، ففي سنه (٣١٠هـ/٩٢٣م) أمرت أم المقتدر بالقبض على أم موسى القهرمانة وعلى أختها أم محمد وأخيها احمد بن العباس والسبب في ذلك أنّ أم موسى زوّجت بنت أخيها أحمد من أبى العبّاس بن محمّد بن إسحاق بن المتوكّل على الله، وكان من أولاد الخلفاء النجباء، وكان صديقا لعليّ بن عيسى حتّى قيل: "إنّه كان يرشّحه للخلافة"، فلمّا وقعت المصاهرة بينه وبين أم موسى اسرفت فيما نثرت من المال وفيما أنفقت على الدعوات لهذا الزواج دعت فيها الصغير والكبير من أهل المملكة في ثمانية عشر يومًا، فكان هذا سببًا في تمكّن أعدائها من السعي للإيقاع بها، وبثوا في نفس المقتدر بالله والسيدة أمه أنّها إنّما صاهرت ابن المتوكّل؛ ليزيلوا المقتدر بالله عن الخلافة وينصبوا عليها ابن المتوكّل(٢).

فأتت بها أم المقتدر وعنفتها وقالت لها إنك أردت أن يصير صهرك خليفة ويصير لك الأمر، وصاحت بجاريتها ثمل، وسلمتها مع أخيها وأختها إليها، فوقعت

(١) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص٢٩٣-٢٩٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٨٧.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٩٥؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص١٤١؛ ابن تغري بردي: لنجوم الزاهرة، ج٣، ص٢٠٤.

النكبة عليهم، وكانت ثمل توصف بالشر؛ لأنّها كانت قهرمانة أحمد بن عبد العزيز بن أبى دلف[١]، وكان أحمد يسلّم إليها من يسخط عليه من جواريه وخدمه، فاشتهرت بالقسوة والسرف في العقوبات، فاستخرجت ثمل منها ومن أختها وأخيها أموالًا عظيمة وجواهر نفيسة غير الثياب والكسوة والفرش والطيب مما يعظم مقداره، بعدما أذاقتهم من العذاب أنواعًا، وقيل إن الوزير علىّ بن عيسى قد نصب ديوانًا جديدًا أسماه ديوان المقبوضات؛ نظرًا لكثرة ما صودر ممن غضبت عليهم السيدة أم المقتدر وابنها[٢].

فقد كانت مفردات السياسة واحدة في تلك الآونة عند الرجال والنساء، فمن الجائز التخلص من أقرب المقربين وأصحاب الفضل علي ذوي السلطة إذا علا نفوذهم وزاد شأنهم وصاروا يمثلون خطرًا علي أصحاب السلطة الفعلية فهنا توافقت وسائل الرجال والنساء في التخلص ممن يمثلون خطرًا عليهم حتي لو أصحاب فضل عليهم، ويعد هذا اغتيالًا سياسيًا، وإن لم يقتل صاحبه، ويكفي أنه جرد من جميع صلاحياته وصودر جميع ما يملك.

٢- التخلص من زيدان السجانة:

أدي تسلط القهرمانات علي أمور الدولة وزيادة نفوذهن، بالإضافة إلي انشغال الخليفة وكثرة عزل الوزراء وتعيينهم، إلي طمع بعضهن في المزيد، وقد وصلت زيدان السجانة إلي مكانة عالية حتي خشيها، الجميع ولا سيما الوزراء الذين كانوا يسلمون إليها عند عزلهن، غير أن الوزير على بن عيسى سأل الخليفة عن إحدى الجواهر الثمينة الخاصة بقصر الخلافة، وهي سبحه من الجوهر قيمتها ثلاثون ألف دينار،

(١) أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجليّ: أمير من بيت مجد ورياسة. كان من الولاة في أيام المعتمد على الله والمعتضد باللَّه العباسيين، توفي سنة(٢٨٠هـ/٨٩٣م) .(للمزيد راجع: خير الدين الزركلي: الأعلام، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م، ص١٥١؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، ص٧٤).

(٢) مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص١٤١؛ أبو الحسن الصابي: تحفة الأمراء، ج١، ص٣٢٨.

فأجابه الخليفة أنها بخزانة القصر، فسأله أن يأمر بطلبها، فطلبت فلم توجد بالخزانة، فأخرجها على بن عيسي من كمه، وقال له: "عرضت على هذه السبحة بمصر فعرفتها واشتريتها، فإذا كانت خزانة الجوهر لا تحفظ، فما الذي يحفظ بعدها؟! وأمير المؤمنين يقطع خزانه وخدمته الأموال الجليلة والضياع الواسعة" فاشتد هذا الأمر على السيدة أم المقتدر وعلى غيرها من بطانتها واتهمت بالسبحة زيدان القهرمانة، حيث كان لا يصل إلى خزانة الجوهر غيرها، وكانت السبحة لم ير مثلها، ويضرب بها المثل، فيقال: سبحة زيدان، وقد وقع هذا الأمر في أول يوم وزر فيه ابن عيسي بعد الخصيبي، فكانت نهاية زيدان(١).

واللافت للنظر أن غياب الرقابة كان سمة مميزة لهذه الفترة، وأن حالات المصادرات والقتل والتنكيل كانت تقع – وإن كان أكثرها علي حق– لوشايات أو لمصالح معينة أو للحصول علي أموال هؤلاء لخزائن أصحاب السلطة لا لبيت مال الدولة، وفي ذلك غياب للوعي والفهم الإداري.

وعلي أية حال استطاعت السيدة أم المقتدر أن تدير كفة الحكم بما حوته فترتها من صراعات وفتن وثورات، مثلها مثل عدد غير قليل من خلفاء العصر العباسي المتأخر، وإن كانت أخطأت في بعض الأمور وقربت منها أصحاب الولاء لا أصحاب الكفاءة، فإنها في المجمل شاركت من وراء ستار في صناعة عديد من القرارات، وعزلت وعينت، ونكلت وقتلت، فكانت حاكمة لتلك الفترة بما حوت من مزايا وعيوب.

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص١١٣؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص٦٤-٦٥؛

خامسًا: خلع المقتدر بالله وعودته للسلطة مرة ثانية:

هذا العصر الذي حكم فيه المقتدر بالله من خلال أمه قاد إلي نتائج حتمية، وفي ذلك يقول الفخري: " اعلم أن دولة المقتدر كانت دولة ذات تخليط كثير، لصغر سنه ولاستيلاء نسائه عليه، فكانت دولة تدور أمورها علي تدبير النساء، فخربت الدنيا في أيامه، وخلت بيوت الأموال واختلفت الكلمة" (١). ففي عهد المقتدر بالله انتشرت الفتن التي عمت الدولة الإسلامية كلها، سواء أكانت في الداخل أم الخارج، ففي سنة (٣١٧هـ/٩٢٩م) انقلب الجيش علي المقتدر وخرج مؤنس الخادم ونازوك الوالي وابن حمدان علي رأس الجيش العباسي، واتجهوا إلي دار الخلافة، وكان بها الخليفة وأمه والحاشية، بالإضافة إلي هارون بن غريب خال المقتدر، وذلك لما رأوا من إسراف الحاشية والخدم، وضياع الأموال وإفساد الحكم بسبب تدخلهم في أمور الدولة، وأرسل مؤنس للخليفة برسالة مضمونها أن الجيش عاتب ومنكر وغاضب لما يصرف من الذهب إلى الحرم والخدم، وأنهم يطلبون إخراج هؤلاء من دار الخلافة وإبعادهم. فرد عليهم برسالة تحمل الود والاستعطاف ويذكر مؤنس الخادم بأنه شيخه وكبيره، ويذكره ومن معه في نهايتها بأن له في ذمتهم بيعة وعهد، غير أنهم اتفقوا علي خلعه واتجهوا جميعًا إلي قصر الخليفة الذي ارتجف رعبًا من هول الواقعة(٢).

وتمكن الحاجب مظفر والوزير ابن مقلة وهارون بن غريب الخال وبعض الحشم من الهروب، في حين حاصرالجيش قصر الخليفة، ودخل مؤنس وابن حمدان ونازوك للقصر، وأخرج المقتدر وأمه وخالته وحرمه وجواريه من دار الخلافة إلى دار مؤنس الخادم، ونهب الجيش كل ما في القصر، وأخذ العسكر خمسمائة ألف دينار وكانت أم المقتدر قد دفنتها في قبر في تربتها، فحملت إلى بيت المال، ثم دخلوا إلي

(١) علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي، ص٤٣٩.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص١٢٣؛ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٩٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٣٧٥.

الحريم وأحضروا محمد بن المعتضد، وكان محبوسا هناك، فبايعه مؤنس والأمراء، ولقبوه بالقاهر بالله ، وقلدوا أبا علي بن مقلة وزارة القاهر بالله، وقلد نازوك الحجابة، بالإضافة لما بيده من الشرطة، وكان لابن حمدان إمرة الدينور[١] وهمدان ونهاوند وما بيده من الجزيرة والموصل[٢].

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل ذهبوا إلي الخليفة المخلوع – المقتدر بالله– وألزموه بأن يكتب على نفسه كتابا بالخلع من الخلافة، وأشهد على نفسه بذلك جماعة من الأمراء والأعيان، وسُلم الكتاب إلى القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، فقال لولده الحسين: احتفظ بهذا الكتاب فلا يرينه أحد من خلق الله[٣].

وجلس القاهر علي كرسي للخلافة، وجلس بين يديه الوزير ابن مقلة، وكتب إلى العمال بالآفاق يخبرهم بولاية القاهر بالخلافة عوضًا عن المقتدر، وأطلق علي بن عيسى من السجن، وزاد في إقطاع جماعة من الأمراء الذين ناصروه، لكن خلع الخليفة وبيعة أخيه لم يحقق للأتراك ما كانوا يريدون من أموال، فعادوا مرة أخرى يخلعون القاهر، فاحتشد الجند و ذهبوا إلي نازوك صاحب الشرطة وقتلوه حيث كان مخمورًا، ثم ذهبوا إلي دار مؤنس الخادم يطالبونه بالمقتدر، وعندما سمع الوزير ابن مقلة الخبر فر هاربًا، وأخذ الجند يهتفون أمام دار مؤنس الخادم : يا مقتدر يا

(١) الدينور: مدينة من أعمال الجبل قرب قرميسين، وبين الدينور وهمذان نيف وعشرون فرسخًا، ومن الدينور إلى شهرزور أربع مراحل، فتحت في زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وهي كثيرة الثمار والزروع ، وينسب إلى الدينور جماعة كثيرة من أهل الأدب والحديث، منهم: عبد الله بن حمدان أبو محمد الدينوري الحافظ،(للمزيد راجع: اليعقوبي (أحمد بن إسحاق بن جعفر)، ت(٢٨٤هـ): البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م، ص٧٦؛ ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله)، ت(٦٢٦هـ): معجم البلدان، ج٢، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ص٥٤٥)

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص١٤٨-١٥١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١٣، ص٣٧٥-٣٧٥ .

(٣) مسكويه: تجارب الأمم، ج٧، ص٢٤٣.

منصور، فلما رأى مؤنس أنه لابد من تسليم المقتدر إليهم، أمره بالخروج، فحمله الرجال على أعناقهم حتى أدخلوه دار الخلافة(١)، فلما وصل إلي القصر، أعطي أوامره بحمل رأس نازوك والنداء عليه وسط العامة، فنودي: هذا رأس من عصى مولاه، أما ابن حمدان ففر هاربًا إلى الموصل(٢).

ومن غرائب الأمور أن المقتدر لم يصدق ما حدث من عودته مرة أخري وظن أن الأمر حيلة، وظل مذعورا حتي أنه عاد إلي دار ابن مؤنس الخادم ليبيت فيها؛ لثقته فيه، بالرغم مما حدث له من مؤنس نفسه، والأغرب من ذلك أنه أقر ابن مقلة في الوزارة، أما القاهر فأخذ يبكي ويقول: "الله الله في نفسي" فعفي عنه أخوه المقتدر، بأمر من السيدة الأم التي شفعت له في ذلك لأنه كان– كما قالت– مقهورًا علي هذا الأمر، فسلمه إلي أمه بصفته محبوسًا عندها، وكانت تحسن إليه وتأتي له بالسرايا كما يذكر ابن كثير غير أن القاهر في الحقيقة كان محجورًا عليه محبوسًا مقهورًا داخل قصر الحريم منذ مقتل أمه قبول وتولي شغب أمره(٣). وهو نفسه ما حدث لأم المقتدر من قبل، وكان لزامًا علي السيدة الأم أن تشعر به، إلا أن مصلحتها فاقت كل الأمور ورغم ما تعرضت له السيدة من ظلم بحبسها وتحديد إقامتها، فقد فعلت الفعلة نفسها مع القاهر.

وعاد المقتدر للخلافة بعد يومين من خلعه، ولم يكن ليعود إلي الخلافة مرة أخري إلا بعد إرضاء الجند الأتراك الذين خلعوه ثم أعادوه، ومن أجل ذلك باع ما في خزائنه من الأمتعة والجواهر؛ ليرضي طمع هؤلاء الذين لم يكن يهمهم إلا المال، وهو ما كان له أثره السيئ علي أحوال الدولة(٤).

---

(١) العمراني: الإنباء، ص١٥٥.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٨٠؛ العمراني: الإنباء، ص١٥٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٦٠؛ علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي، ص ٤٤٣.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٦١.

سادسًا: أبرز الإسهامات الحضارية للسيدة أم المقتدر:

استكمالًا لنفوذ السيدة أم المقتدر وتسطيرًا لاسمها في التاريخ، فقد اهتمت بإنشاء الكثير من الأوقاف سواء لمساعدة المرضى والمحتاجين في بغداد أم لحاجات المرابطين في الثغور والواردين لشعيرة الحج في مكة المكرمة وزيارة المدينة المنورة(١)، فكانت تنفق كثيرًا من الأموال في سبيل الخير والبر والإحسان(٢) **ومن أبرز أعمالها: بيمارستان أم المقتدر:** أمرت السيدة أم المقتدر ببناء بيمارستان لعلاج المرضى، عندما تفشت الأمراض في الجيش وقلت العناية بهم، فسقط منهم الواحد تلو الآخر، فأمرت ببناء البيمارستان، وأشرف علي بنائه وترتيب أموره وإدارته الطبيب والمؤرخ سنان بن ثابت(٣)، وكان ذلك بتوقيع من علي بن عيسي متولي الدواوين في ذلك

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص٣٢١؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٣٣١.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم، ج١٣، ص٣٢١؛ مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٣٣١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٤، ص٧.

(٣) أبو سعيد سنان بن ثابت بن قرة الحُراني، لقب بهذا اللقب نسبة إلى مدينة حران شمالي سورية، طبيب رياضي فلكي، مؤرخ أديب، ولد في حران، وانتقل من مسقط رأسه إلى بغداد حاضرة الثقافة والعلم في القرن الرابع الهجري، إذ كانت الحضارة العربية الإسلامية في أوج تألقها، تابع سنان دراسته في الطب، وبرز فيه، ووضع براعته في خدمة الخلفاء العباسيين، وغدا طبيب الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٧-٩٣٢م)، وفي عهده دخل سنان بن ثابت الإسلام، ثم خدم الخليفة القاهر بالله(٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٣م) ثم الخليفة الراضي بالله في بغداد (٣٢٢-٣٢٩هـ/ ٩٣٣-٩٤٠م). وقد عظمت منزلته عند الخلفاء، وغدا رئيس أطباء بغداد، وأطلق المقتدر بالله يده في تنظيم مهنة الطب، وذلك إثر غلط وقع فيه طبيب في بغداد أدى إلى موت المريض، وأمره بإجراء امتحان لكل طبيب يريد ممارسة مهنة الطب، فقام سنان بذلك، ووصل عدد الأطباء الذين امتحنهم نحو ثمانمائة وستين للمزيد: راجع: ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس)، ت(٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص٣٠٠-٣٠٢؛ ساخاو- عبد الفتاح الصعيدي: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتي سنة ٢٠٠٢م، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م، ص٩٦؛ زهير حميدان: أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، م١، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م، ص٤٦٥.

الوقت– في وزارة حامد بن العباس– وأفتتح في(٣٠٦هـ/٩١٨م) وقد اتخذه لها في سوق يحيى بالرصافة، وجلس فيه ورتب المتطببين ليستقبل المرضى، بناه على دجلة، وكانت نفقة سنان في كل شهر ستمائة دينار.(١).

وقد أورد محمد بن أبي جعفر بن البهلول، رواية أخري تشكك في نوايا السيدة أم المقتدر الخيرية التي لم تكن خالصة لطلب الخير وحده حيث قال: "طلبت السيدة أم المقتدر بالله من جدي كتاب وقف بضيعة كانت ابتاعتها، وكان كتاب الوقف مخزونا في ديوان القضاء، وأرادت أخذه؛ لتحرقه وتتملك الوقف مرة أخري، ولم يعلم الجد بذلك، فحمله إلى الدار، وقال لأم موسي القهرمانة: قد أحضرت الكتاب فماذا به، فقالوا نريد أن يكون عندنا، فأحسن بالأمر، فقال لأم موسى القهرمانة: تقولين للسيدة أم المقتدر: اتقي الله هذا والله ما لا طريق إليه أبدًا أنا خازن المسلمين على ديوان الحكم، فإن مكنتموني من خزنه كما يجب وإلا فاصرفوني وتسلموا الديوان دفعة واحدة، فاعملوا فيه ما شئتم، وأما إن يفعل شيء من هذا على يدي فوالله لا كان ذلك أبدًا، ولو عرضت على السيف، ونهض والكتاب معه، وصعد إلى ابن الفرات وحدثه بالحديث، فقال له: الآن أنت مصروف، فلا حيلة لي مع السيدة في أمرك، قال: وأدت القهرمانة الرسالة إلى السيدة، فشكت إلى المقتدر، ولما تحدث معه المقتدر، أمنه من أمه وأقره علي عمله، بعد إقناع أمه بأن هذا الرجل لا سبيل إلي عزله أو التلاعب به فرضيت عنه، غير أن أبو جعفر بن البهلول قد توفي في العام نفسه(٢).

(١) ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء، ص٣٠٠-٣٠٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٣، ص١٩٣؛ ساخاو– عبد الفتاح الصعيدي: معجم الأدباء، ص٩٦؛ زهير حميدان: أعلام الحضارة العربية الإسلامية، ص٤٦٥.(غير أن ابن تغري بردي يذكر أن النفقة علية بلغت سبعة آلاف دينار شهريًا).

(٢) ابن الجوزي، المنتظم، ج١٣، ص٢٩٣-٢٩٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٨٧.

وكانت أم الخليفة تخصص بعضًا من أموالها؛ لتقوية ثغور الدولة وتخومها[١]، وبالرغم من ذلك، فقد كانت تبخل بالمال إذا شعرت أنه لا يخدم مصالحها في إحكام سيطرتها علي الدولة، حيث رفضت طلب قائد الجيش مؤنس المظفر للمال، مقابل بقاء ابنها المقتدر في الخلافة وعدم الإقدام علي خلعه وتولية أخيه القاهر، مثلما حدث مع المقتدر نفسه من قبل، فأخذتها العزة بالإثم، ورفضت طلب مؤنس؛ لأنها شعرت بالتهديد من قبله؛ ذلك التهديد الذي كانت تأباه نفسها، فرفضت، وكانت تخطط لتولية هارون ابن أخيها غريب؛ ليكون قائدًا للجيش بدلًا من مؤنس، إلا أنها في هذه المرة أساءت التصرف وعرضت ابنها للقتل؛ لأنها لم تدرك قوة خصمها جيدًا واحتمالات تصرفه بعد هذا الرفض[٢].

سابعًا: نهاية الخليفة المقتدر والسيدة أمه:

١- نهاية الخليفة المقتدر:

لم يمض وقت طويل علي عودة المقتدر بالله إلي الحكم، حتي خرج عليه قائد الجيش مؤنس المظفر مرة ثانية، وكان ذلك في (٣٢٠هـ/٩٣٢م) وانتهي الأمر بقتله[٣]، وكان السبب ثورة الجند ومطالبتهم بأعطياتهم المتأخرة، فقد طلبوا من مؤنس – وكان بالموصل– أن يذهب بهم للخليفة ليعطيهم أعطياتهم، وإلا قاتلوه، فتحرك بهم إلي بغداد، وحاول الخليفة إرضاء جند بغداد؛ ليكفوه شر مؤنس ومن معه فأجزل لهم العطايا، حيث أخرج من ماله ومال السيدة أمه فلم يبق لهما شيء، وحاول المقتدر الاستعانة بابن خاله هارون، إلا أنه رفض، وبرر ذلك بعدم ثقته في عسكره الذين كان أكثرهم موالين لمؤنس الخادم، فخاف أن يسلموه إليه، فاضطر المقتدر للخروج إليهم

(١) سولاف: الجواري والقهرمانات، ص١٢١.

(٢) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص١٤٣.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٨١؛ العبادي: تاريخ الدولة العباسية، ص٢٣٣؛ علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي، ص٤٤٣.

بعد أن زين له أصحابه ذلك، فخرج كارهًا، وبين يديه الفقهاء والقراء ومعهم المصاحف مشهورة، وعليه البردة، والناس حوله، فوقف على تل عال بعيد عن المعركة، فأرسل أصحابه قوادًا يسألونه التقدم مرة بعد أخرى، فلما ألحوا عليه، تقدم من موضعه، فانهزم أصحابه قبل وصوله إليهم(١).

وكان قد أمر بالنداء: من جاء بأسير فله عشرة دنانير، ومن جاء برأس فله خمسة دنانير، فلما انهزم أصحابه فأراد الرجوع، لقيه بعض الجند، فشهروا عليه سيوفهم، فقال: ويحكم أنا الخليفة! فقالوا: أنت خليفة إبليس، تبذل في كل رأس خمسة دنانير، وفي كل أسير عشرة دنانير وضربه أحدهم بسيفه فسقط إلى الأرض وذبحه بعضهم، وكان المقتدر ثقيل البدن، عظيم الجثة، فلما قتلوه، رفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنون، وأخذوا جميع ما عليه حتى سراويله، وتركوه مكشوف العورة، إلى أن مر به رجل فستره بحشيش، ثم حفر له موضعه، ودفن، إلا أنه لم ينتطح لقتله عنزان(٣٢٠هـ/٩٣٢م)(٢).

وهكذا كانت خلافة المقتدر بالله، التي بلغت مدتها أربعا وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا وستة عشر يومًا، وكان عمره حينئذ ثماني وثلاثين سنة وشهرين، كان فيها مسرفًا مبزرًا، وكان في داره أحد عشر ألف غلام من الخصيان غير الصقالبة والروم والسود، وقد أهمل أحوال الخلافة، وفرط في الأموال، وعزل من الوزراء وولى غيرهم، وترك الحكم لأمه فمكنت النساء والخدم، فانحطت هيبة الخلافة، وتجرأ أصحاب الأطراف وخرجوا عن الطاعة(٣). وهذا ما توقعه والده الخليفة المعتضد منذ صغره، فصدقت توقعاته وأصاب تحليله لموقف ابنه.

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم، ج٥، ص٣١٩؛ المقدسي: تكملة تاريخ الطبري، ج١، ص٦٩؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٧٦٩-٧٧٠.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٧٦٩-٧٧٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٧٧٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١٩٢.

كذلك كان عصر المقتدر وأمه الذي امتد ما يقرب من ربع قرن، وغلب النساء علي حكمه، وكان سخيًا مبذرًا مؤثرًا للشهوات والشراب، وترك الدولة وليس بها شيء يذكر بعد أن بدد هو وأمه ممتلكاتها. وهكذا كان الخليفة التعس الذي نشأ وسط الجواري، وتأثر بهن حتي غلبن عليه و علي حكمه، وأولهن أمه التي سيطرت علي أمور الدولة في خلافة ابنها، وقد حرصت هي وجواريها علي أن يكون الخلفاء لا صلة لهم بشئون الحكم، وفي ذلك يقول الصولي الذي تتلمذ علي يديه الراضي بن المقتدر– حفيد السيدة شغب– وهو يقرأ عليه شيئا من شعره، وبين يديه الكتب، فدخل عليهما خادم من خدم جدته السيدة ، فأخذ جميع ما بيديه من الكتب، وجعلوها في منديل كان معهم، ومضوا دون حديث، ثم ردوا الكتب بحالها، وقالوا للصولي: إن ما تفعله من محاسن هي عند السيدة مساوئ، وهي تقول: "ما نريد أن يكون أولادنا أدباء ولا علماء، وهذا أبوهم قد رأينا كل ما نحب فيه وليس بعالم، فاعمل على ذلك"(١).

ومن المفارقات أنه لما قتل المقتدر بالله، حزن مؤنس الخادم عليه حزنًا شديدًا، غير أنه أراد أن يستكمل مسيرته الأولي مع ابن المقتدر، فأراد أن ينصب أبا العباس أحمد بن المقتدر في الخلافة قائلًا: إنه تربيته منذ أن كان صبيًا، وهو صبي عاقل، وفيه دين وكرم ووفاء بما يقول، فإذا جلس في الخلافة، سمحت نفس جدته والدة المقتدر وإخوته وغلمان أبيه ببذل الأموال(٢)، فاعترض عليه أبو يعقوب النوبختي، وقال: بعد الكد والتعب استرحنا من خليفة له أم وخالة وخدم يدبرونه فنعود إلى تلك الحال، فوقع الأمر علي محمد بن المعتضد، فبايعوه بالخلافة ولقبوه بالقاهر

(١) الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله)، ت(٣٣٥هـ): الأوراق قسم أخبار الشعراء، ج٢، شركة أمل، القاهرة، ١٤٢٥هـ، ص٢٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٧٧٠.

بالله، وكان مؤنس كارهًا لخلافته[١].

وهكذا بعد حكم فاسد دام نحو خمس وعشرين سنة قتل المقتدر، وبويع لأخوه القاهر مرة أخرى، ولم تكن خلافة القاهر القصيرة (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣٢-٩٣٤م) خيرًا من خلافة المقتدر، فقد استمر شغب الجند، وفكر مؤنس الخادم في الخروج عليه بالاتفاق مع الوزير ابن مقلة الذي كان همه كهم الأتراك الحصول على المال، ولكن القاهر كان طاغية جسورًا سفاكًا للدماء، يحمل دائمًا حربة لا تفارقه يباشر بها قتل من يريد قتله، وزاد في ألقابه عبارة (المنتقم من أعداء الله) ونقش ذلك على السكة[٢].

٢- نهاية السيدة أم المقتدر (شغب):

لم ينس القاهر ما حدث لأمه من زوجة أبيه السيدة شغب، ولم ينس حبها لابنها المقتدر وحبسه كالمحجور عليه وسط الجواري، فلجأ إلي الانتقام، وأول ما فعله بعد أن استقر في الحكم هو البحث عمن استطاع الهروب من أولاد المقتدر وحريمه، وبدأ بالسيدة الأم، وكانت مريضة بالاستسقاء[٣]، وقد زاد مرضها بقتل ابنها، فلما سمعت أنه بقي مكشوف العورة، جزعت جزعًا شديدًا، وامتنعت عن الطعام والشراب، حتى كادت تهلك، فوعظها النساء حتى أكلت شيئا يسيرًا من الخبز والملح، ثم أحضرها القاهر عنده وسألها عن مالها، فاعترفت له بما عندها من الذهب والثياب، ولم تعترف بشيء من المال والجوهر، فضربها ضربًا مبرحًا وعلقها من رجلها فكانت

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٦، ص٧٧٠؛ ابن العبري (غريغوريوس بن أهرون بن توما)، ت(٦٨٥هـ): تاريخ مختصر الدول، ج١، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م، ص١٥٨.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج١، ص٢٧٩؛ العصامي: سمط النجوم، ج٣، ص٤٩٠.

(٣) الاستسقاء: ما يعرف بـ "Acites"، هو تجمع أو احتباس السوائل في البطن، ويأتي عادة إما نتيجة لأمراض الكبد أو الكُلى، أو قصور القلب، ويصيب المريض بالنحافة في الجسد. راجع: http://www.almaany.com/ar/dict/ar-en/abdominal. dropsy

تبول حتي ينزل البول علي وجهها، فلم تظهر من مالها سوى خمسين ألف دينار، وأخذ يضرب المواضع الحساسة من بدنها، وأمام هذا التعذيب أقسمت أنها لا تملك غير ما أطلعته عليه، وقالت له لو كان عندي مال، ما أسلمت ولدي للقتل، ولم تعترف بشيء سوي أوقافها التي لا تريد حلها(١).

وأخرج القاهر والدة المقتدر؛ لتشهد على نفسها القضاة والعدول بأنها قد حلت أوقافها ووكلته في بيعها، فامتنعت عن ذلك، فأحضر القاضي والشهود العدول، وأشهدهم علي أنها وكلته في بيع أملاكها وحل أوقافها، فطلب الشهود رؤيتها، فكشفت عن وجهها وشهدت أنها شغب، وأنها وكلت القاهر في بيع أملاكها، وأشهدهم القاهر على نفسه أنه قد حل جميع أوقافها، ووكل نفسه في بيعها، فبيعت جميعها، حيث اشتراها الجند من أرزاقهم(٢).

ولما رأي ابن بليق الحاجب – وكان أحد الشهود الذين أحضرهم القاهر لأم المقتدر– ما بها من آثار ضرب وتعذيب، بكي وطلب من القاهر أن يرحمها ويسلمها له، لا سيما أنها بين الحياة والموت، فسلمها له، فبقيت عنده مكرمة عشرة أيام، ثم ماتت ودفنت في تربتها بالرصافة سنة(٣٢١هـ/٩٣٣م)(٣)، وكان عقاب الله شديدًا، فتجرعت شغب من الكأس نفسها التي استخدمتها في قتل كثير من الأبرياء، فكانت تلك النهاية المؤلمة.

ويصف القاضي التنوخي– وكان من بين الشهود– أم المقتدر حين رأوها في ذلك اليوم المشئوم، بأنها كانت امرأة عجوزاً دقيقة الوجه والمحاسن، سمراء اللون تميل

(١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج١١، ص٣٧٤؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٦، ص٧٦٨.؛

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٦، ص٧٦٨.

(٣) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٣، ص٣٩٩.

إلى البياض والصفرة، عليها أثر ضرب شديد وثياب غير فاخرة، فتعجب ومن معه من تقلب الزمان وتصرف الحدثان[١].

وقد تحول القاهر إلي وحش ضار لا يعرف سوي الانتقام، فأمر بأم موسي القهرمانة فضربها وعذبها[٢]، ثم أخذ يتعقب خاصة المقتدر وأمر بالقبض عليهم، ومن أجل ذلك أمر بهدم جميع الدور التي شك أن ولد المقتدر قد استتروا بها، فلم يزل كذلك إلى أن وجدوا منهم أبا العباس الراضي وهارون وعليًا والعباس وإبراهيم والفضل، فحملوا إلى دار الخليفة، فصادر جميع أموالهم، ثم صب انتقامه علي حاشية المقتدر وأصحابه وصادر جميع أموالهم كذلك[٣].

ولم تنته الآثار السيئة التي خلفتها شغب بموتها، بل ظهرت ظهورًا جليًا في تصرفات القاهر بالله، فبرغم مدة خلافته القصيرة (٣٢٠-٣٢٢هـ/٩٣١-٩٣٤م) فقد قام بالعديد من الأعمال التخريبية، التي وسمت بالوحشية، فبالإضافة إلي ما سبق أمر ببيع الجواري المغنيات بأبخس الأثمان، رغم ولعه بالغناء، ومنع بيع الخمر وعاقب عليه بشدة، مع لم يكن يكاد يفيق من السكر، وانقلب على كل من ساعده، وفتك بأصدقائه قبل خصومه، وبالرغم من قسوته فإن القواد تآمروا عليه وخلعوه وسملوا عينيه، فكان أول من يسمل من الخلفاء العباسيين، وبايعوا بعده الخليفة الراضي سنة (٣٢٢-٣٢٩هـ/٩٣٣-٩٤٠م)[٤].

ويتضح من هذا كله أن القاهر بالله كان ضحية أخري من ضحايا العزل والقهر والإهمال، ويمكن القول: إن الحياة التي عاشها منذ طفولته وسط مجموعة من الدسائس والمؤامرات والأحقاد والاغتيالات التي عمت القصر ثم تربية السيدة شغب له

(١) أبو الفداء: المختصر، ج٢، ص٧٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج١١، ص١١٩.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج٢٣، ص٣٩٩.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٦، ص٧٦٨.

(٤) مسكويه: تجارب الأمم، ج٥، ص٣٥٨؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ج١، ص٢٨٠.

التي كانت تري أمه فتنه التي عشقها المعتضد في وجه الطفل الصغير وحب المعتضد له، وغضبه علي ابنها، ثم طفولته وشبابه اللذين قضاهما محبوسًا وسط حريم القصر وجواريه بأمر من السيدة شغب جعلت جميعًا من القاهر شخصية مضطربة كارهة لكل من حولها، ضعيفة داخليًا، ولتعويض هذا الضعف كانت الشدة والقسوة المبالغ فيها في أفعاله وتصرفاته وبحور الدماء التي ملأت فترة خلافته القصيرة، وانتقامه من شعب وابنها والجواري الائي عاش بينهن والقواد الذين خذلوه، فكانت نهايته المؤلمة نتيجة طبيعية لهذا كله، لذا فقد عرف "بالقاهر" نعتًا فقط لكنه عاش ومات "مقهورًا" ذليلًا.

وكان عهد المقتدر والقاهر عصري انتكاسة للخلافة العباسية، حيث كثرت في عهدهما الفتن والدسائس، وتناقصت موارد الدولة المالية، حتى عجزت الخلافة عن تسيير دفة الأمور، فلما جاء عهد الراضي، ظهر منصب أمير الأمراء الذي انتقلت إليه كل سلطات الخليفة وكل اختصاصات الوزير، ولم يبق للخليفة من منصب الخلافة إلا الاسم، وقنع بأن يخطب له على المنبر، وتضرب السكة باسمه، ولم تستطع الخلافة استرداد سلطانها بعد ذلك، فقد انتهى عصر الأتراك حين حل محلهم الديلم، فورثوا سلطة أمير الأمراء في عهد بني بويه، ثم تلاهم السلاجقة، فحكموا باسم الخلافة[1].

(١) أحمد مختار العبادي، إبراهيم محمد على مرجونة: تاريخ الدولة العباسية، ص٢١٠.

خاتمـــــة:

في ضوء دراستنا لهذا البحث تظهر لنا عدة نتائج، لعل من أهمها:

- أن ناعم التي اشتهرت بشغب ثم بالسيدة والتي حكمت الدولة الإسلامية من خلال ابنها المقتدر بالله سنة(٢٩٥هـ-٣٢٠/٩٠٧-٩٣٢م) كانت جارية مجهولة النسب بيعت في سوق النخاسة، لتخدم في احد البيوت العريقة ببغداد، ثم انتقلت إلي قصر الخليفة لتصبح زوجته وأم ولده، بفضل مهارتها وحنكتها وتطلعها إلي أن تكون ذات شأن ومكانة وحظوة داخل المجتمع.
- أن شغب أو ناعم لم تكن الوحيدة من عائلتها التي تعرضت للبيع في أسواق نخاسة بغداد، بل إن الأحداث التاريخية التي حدثت منذ ولاية ابنها وتحكمها في الأمور أثبتت أن لها أخًا يدعي غريبًا، وعُرف بغريب الخال- أي خال المقتدر بالله- وقد بيع أيضًا في سوق النخاسة، وهؤلاء جميعا وذووهم ارتفع شأنهم في الدولة خلال حكم المقتدر بالله.
- أن غياب العدل والمساواة بالإضافة إلي الإهمال والتجاهل من الزوج لزوجته وأم ولده وغياب الوازع الديني من ولي الأمر وعدم الاهتمام بتربية الأولاد ونشأتهم يؤدي -ولا شك- إلي الشعور بالظلم والقهر، الذي يؤدي عند عدد ليس بالقليل إلي وجود حالة من الانتقام وإفراز شخصية غير سوية تعاني من مشاكل عديدة تتسم بعدم الاستقرار والازدواجية، وهو ما حدث لبعض أصحاب القرار داخل الخلافة العباسية وقتذاك، وهذا ما أسهم إسهامًا كبيرًا في ضعف الدولة وتحكم الأتراك فيها، لا سيما في ظل خليفة صغير السن قليل الخبرة (المقتدر بالله)، أو خليفة يشعر بالقهر والظلم (القاهر بالله).
- أن وصول السيدة شغب إلي الحكم واستعانتها بالنساء غير المؤهلات في إدارة أمور الدولة قد أدي إلي حالة من الفوضى والضعف والوهن وتحكم النساء في مقاليد الحكم وأصبحت الأمور تدار بالأهواء، فكثر البذل والعطاء،

كما كثرت التولية والعزل، فحرمت الدولة من الوزراء الأكفاء، فاختل ميزان العدل، وظلم الشعب، وضاعت الأمة، حيث وسد الأمر لغير أهله.

- أن الخليفة المقتدر بالله العباسي كان آخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش، وآخر خليفة جالس الندماء، وآخر خليفة خطب يوم الجمعة – وإن كان لم يخطب للجمعة إلا مرتين خلال فترة خلافته– ثم جاء عصر جديد تحكم فيه أمراء الجيش في جل الأمور، ولم يبق للخليفة سوي الاسم فقط، وقد حرصوا علي بقائه؛ لبقاء شرعيتهم في الحكم.
- أن الإكثار من فعل الخير لم يكن دليلًا علي صلاح الفرد أو فساده، بل هناك كثير من الناس يخفون شرورهم وراء أعمالهم الخيرية، وإن كان الحكم علي ذلك ليس من حق الباحث.
- وأخيرًا توصي الدراسة: بضرورة العودة إلي التعاليم الإسلامية التي تدعو لإتباع العدل والإنصاف في كل شيء، فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم، فيجب علي أصحاب القرار تحقيق المساواة والعدالة الاجتماعية والاهتمام بالنشء؛ لضمان قيام مجتمع صحي وقادة أقوياء أشداء لديهم القدرة علي الإنجاز والإبداع.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المصادر العربية:

١- ابن الأثير (أبو الحسن على بن محمد)، ت(٦٣٠هـ): الكامل في التاريخ، ج٦، راجعه وصححه: محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٢- ابن أبي أصيبعة (أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس)، ت(٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

٣- البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي)، ت(٤٦٣هـ): تاريخ بغداد، ج١٣، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠١م.

٤- ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن)، ت(٨٧٤هـ): مورد اللطافة في من ولى السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م.

٥- ـــــــــــــــــــــــ: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٣، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٢م.

٦- التنوخي (أبو على المحسَّن بن على)، ت(٣٨٤هـ): نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، ج٦، تحقيق: عبود الشالجى، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م،

٧- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن على)، ت(٥٩٧هـ): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٣، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٨- أبو الحسن الصابي (الهلال بن المحسن)، ت(٤٤٨هـ): تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، ج١، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة الأعيان، د.ت.
٩- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون)، ت(٨٠٨هـ): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج٣، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.
١٠- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد)، ت(٦٨١هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٣، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.
١١- الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد)، ت(٧٤٨هـ/١٣٧٤م): سير أعلام النبلاء، ج٢٢، تحقيق: بشار عواد ومحى هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
١٢- ـــــــــــــ: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهر والأعلام، ج٦، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٣- الرازى (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر)، ت(٦٦٦هـ): مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط٥، ١٩٩٩م.
١٤- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر)، ت(٩١١هـ):: تاريخ الخلفاء، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٣م.
١٥- ابن شاكر (محمد بن شاكر الكتبي)، ت(٧٦٤هـ): فوات الوفيات، ج١، تحقيق: إحسان عباس دار صادر، بيروت، د.ت.

١٦- الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك)، ت(٧٦٤هـ): الوافي بالوفيات، ج٦، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركى مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت،٢٠٠٠م.

١٧- الصولي (أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله)، ت(٣٣٥هـ): الأوراق قسم أخبار الشعراء، ج٢، شركة أمل، القاهرة، ١٤٢٥هـ.

١٨- ابن طباطبا (محمد بن على): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت، د.ت.

١٩- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، ت(٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، ج١٠، دار التراث، بيروت، ١٣٨٧هـ.

٢٠- ابن العبري (غريغوريوس بن أهرون بن توما)، ت(٦٨٥هـ): تاريخ مختصر الدول، ج١، تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م.

٢١- ابن العديم (عمر بن أحمد بن أبى جرادة)، ت(٦٦٠هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب، ج٢، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٢٢- ابن عساكر (أبو القاسم على بن الحسن)، ت(٥٧١هـ): تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، ج٧١، تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٣- العصامى (عبدالملك بن حسين بن عبدالملك)، ت(١١١١هـ): سمط النجوم العوالي في أخبار الأوائل والتوالي، ج٣، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، على محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

٢٤- ابن العماد (عبد الحي بن أحمد بن محمد)، ت(١٠٨٩هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج٤، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٩٨٦م.

٢٥- العمراني (محمد بن على بن محمد)، ت(٥٨٠هـ): الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٩٨٢م.

٢٦- القلقشندي (أبو العباس أحمد)، ت(٨٢٠هـ): مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج٣، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، عالم الكتب، بيروت، د.ت.

٢٧- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر)، ت(٧٧٤هـ): البداية والنهاية، ج١١، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، الجيزة، ١٩٩٨م.

٢٨- المسعودي (أبو الحسن على بن الحسين)، ت(٣٤٥هـ): التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوى، مكتبة الشرق الإسلامية ومطبعتها، القاهرة، ١٩٣٨م.

٢٩- ــ: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٤، تحقيق: كمال حسن مرعى، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٣٠- مسكويه (أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب)، ت(٤٢١هـ):: تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج٥، تحقيق: أبو القاسم إمامي، سوش، طهران،ط٢، ٢٠٠٠م.

٣١- المقدسي (محمد بن عبد الملك الهمذاني)، ت (٥٢١هـ/١١٢٧م): تكملة تاريخ الطبري،ج١، تحقيق: البرت يوسف كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٨م.

٣٢- ابن منظور (محمد بن مكرم)، ت(٧١١هـ): مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٣، تحقيق، رياض عبد الحميد مراد، مراجعة: روحية النحاس، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٤م.

٣٣- ـــــــــــــــ: لسان العرب، ج١٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٤- ابن ناصر الدين (شمس الدين محمد بن عبد الله القيسي)، ت(٨٤٢هـ): توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، ج٢، تحقيق، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣م.

٣٥- النويري (شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب)، ت(٧٣٣هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٢٣، تحقيق، عبد المجيد ترحينى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.

٣٦- ابن الوردي (زين الدين عمر بن مظفر)، ت(٧٤٩هـ): تاريخ ابن الوردي، ج١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦م.

٣٧- اليافعي (أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد)، ت(٧٦٨هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ج٢، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.

٣٨- ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله)، ت(٦٢٦هـ): معجم البلدان، ج٢، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م.

٣٩- اليعقوبي (أحمد بن إسحاق بن جعفر)، ت(٢٨٤هـ): البلدان، وضع حواشيه: محمد أمين ضناوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٢م.

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

٤٠- آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج١، تعريب: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

٤١- إحسان عباس: شذرات من كتب مفقودة، ج٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٩٨٨م.

٤٢- أحمد مختار العبادي، إبراهيم محمد علي مرجونة، تاريخ الدولة العباسية، دمنهور، ٢٠٠٨م.

٤٣- أيمن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد، مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

٤٤- خير الدين الزركلي: الأعلام، ج١، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٤٥- رينهارت بيتر دوذي: تكملة المعاجم العربية، ج٨، ترجمة: محمد سليم النعيمى، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ١٩٧٩م.

٤٦- زهير حميدان: أعلام الحضارة العربية الإسلامية في العلوم الأساسية والتطبيقية، م١، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.

٤٧- ساخاو- عبد الفتاح الصعيدي: معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتي سنة ٢٠٠٢م، ج٣، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ٢٠٠٣م.

٤٨- سالم القمودي: سيكولوجية السلطة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.

٤٩- سولاف فيض الله حسن: دور الجواري والقهرمانات في دار الخلافة العباسية، ١٣٢-٦٥٦هـ/٧٤٩-١٢٥٨م، دار عدنان، بغداد، ٢٠١٣م.

٥٠- علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

٥١- ضيف الله يحيي الزهراني: الوزير العباسي علي بن عيسي بن داود بن الجراح ٢٤٥-٣٣٤هـ/ ٨٥٩-٩٤٥م، إصلاحاته الاقتصادية والإدارية، سلسلة بحوث الدراسات الإسلامية(٢٧)، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٩٩٤م.

٥٢- عمر رضا كحالة: أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٥٩م.

٥٣- مصطفي حجازي: التخلف الاجتماعي مدخل إلي سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٩، ٢٠٠٥م.

ثالثًا: المواقع الإلكترونية:

54- http://www.almaany.com/ar/dict/ar-en/abdominal.dropsy